الفصل السادس

فن العمارة فى الدولة القديمة
[من الأسرة الثالثة إلى
الأسرة السادسة]

obeikandl.com

obeikandl.com

ان ما وعدت به بوادر الحضارة المصرية فى عصر الأسرتين الأولى والثانية، تحقق وتم انجازه فى عصر الأسرتين الثالثة والرابعة. ولكن نظراً لندرة ما وصل إلينا من الشواهد أو الوثائق التاريخية المكتوبة، فليس أمامنا سوى أن نتلمّس طريقنا فى تقييم انجازات الحضارة المصرية فى عصر الدولة القديمة خلال الآثار التى تركتها فى المناطق الواسعة بالقرب من «منف». ونعنى بتلك الآثار فى المقام الأول، أعمال العمارة والنحت التى وجدت أو عثر عليها فى خرائب الجبانات الواسعة فى مناطق الجيزة وأبوصير وسقارة ودهشور [الصورة ٥٦].

ومن المؤكد أن فى عصور ما قبل التاريخ فى مصر ظهر العديد من العباقرة المجهولين لنا تماماً.. عباقرة من طراز نيوتن وأينشتاين الذين سبقوا بأفكارهم وخيالهم الزمن الذى كانوا يعيشون فيه، وأضاءوا الطريق أمام تقدم حياة الإنسان إلى آفاق جديدة.

ولسوء الحظ فلم نتعرف على أى واحد من هؤلاء العباقرة المصريين الذين عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ. ولكننا لحسن الحظ تعرفنا على واحد منهم عاش فى بداية عصر التاريخ، ونعنى به إيمحوتب [الصورة ٥٧]. الذى تعلم فى هليوبوليس وأصبح وزيراً للملك زوسر [الأسرة الثالثة](١). وظلت سمعته

(١) هو «نِتِرْخِتْ ــ زُ وسَرْ» مؤسس الاسرة الثالثة. ومن المحتمل أنه كان الأخ الأصغر للملك «خَعْ سِخِمْوى» [ومعنى اسمه: سطوع القوتين] الذى حكم مصر نحو ١٥ سنة، وكان آخر ملوك الاسرة الثانية. وقد استمر حكم الملك زوسر نحو ٢٩ سنة. ويعتبر أول ملك مصرى بنى لنفسه مقبرتين احداهما فى بيت خلاف بشمال العــرابة المدفونة، والثانية بسقارة وهى المعروفة بالهرم المدرج الذى يعتبر من الناحية المعمارية الحلقة الوسطى بين المصطبة والهرم الكامل. وقد قام زوسر بارسال عدة حملات إلى سيناء لاحضار الفيروز والنحاس وحملات أخرى إلى جنوب بلاد النوبة فيما وراء الجندل الأول [المترجم].

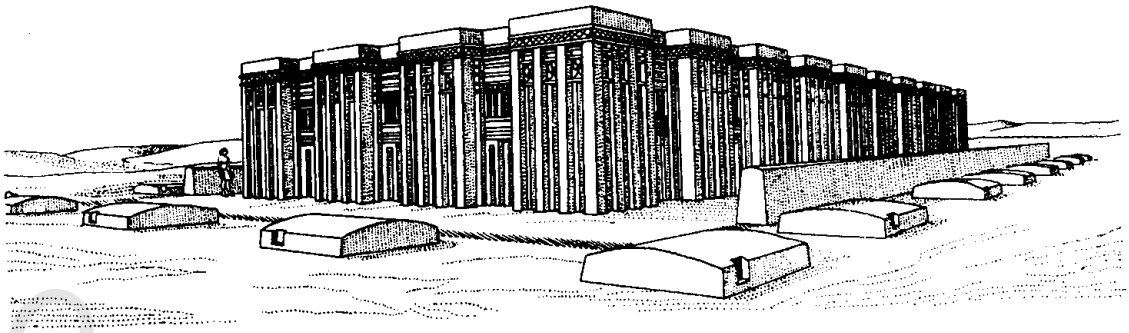

(٥٦)

الصورة (٥٦)
رسم متخيل للمبانى والمنشآت العلوية الخاصة بقبر ملكى بسقارة. ومن المعتقد أن هذا القبر كان خاصاً بالملكة «مِرِنيتْ» من عصر الأسرة الأولى [حوالى سنة ٣١٠٠ ق م].

(٥٧)

الصورة (٥٧)
إيمحوتب .. وزير الملك زوسر، والمهندس الذى وضع تصميم الهرم المدرج بسقارة وأشرف على بنائه .. وفى العصور المتأخرة [الأخيرة] من التاريخ المصرى القديم ، اعتبر إيمحوتب حكيماً ثم أصبح إلها للطب ، وكان من المعتاد تصويره بنفس الوضع الذى يجسمه هذا التمثال البرونزى الصغير الذى يرجع تاريخه إلى العصر المتأخر.. يجلس هكذا رافعاً رأسه وناظراً إلى الأمام ، وبرديته مفتوحة ومفرودة على ركبتيه . أما النص المكتوب على قاعدة التمثال فيسجل اسم الشخص الذى أمر بصنعه وكرّسه لإيمحوتب .

• محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة .

الحميدة قائمة فى العصور التالية حيث وصف بأنه المهندس ، والفلكى ، والكاهن ، والكاتب ، والحكيم ، وفوق ذلك كله وصف بأنه الطبيب القدير، بل وعبد فى بعض العصور المتأخرة باعتباره إلهاً للطب . أما عمله المعروف الخالد، فهو ذلك المبنى الجنائزى العظيم الذى اقامه الملك زوسر، ونعنى به الهرم المدرج بسقارة [الصور ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠] (٢) .

---

(٢) ولد المهندس العظيم ايمحوتب فى ضاحية من ضواحى منف اسمها «عنخ تاوى» . وكان أبوه مهندساً اسمه «كانِفِرْ» وكانت أمه سيدة نبيلة اسمها «خِرِدْ وِعَنْخْ» تنتمى إلى اقليم مندس [تل الأمديد حاليا] [المترجم] .

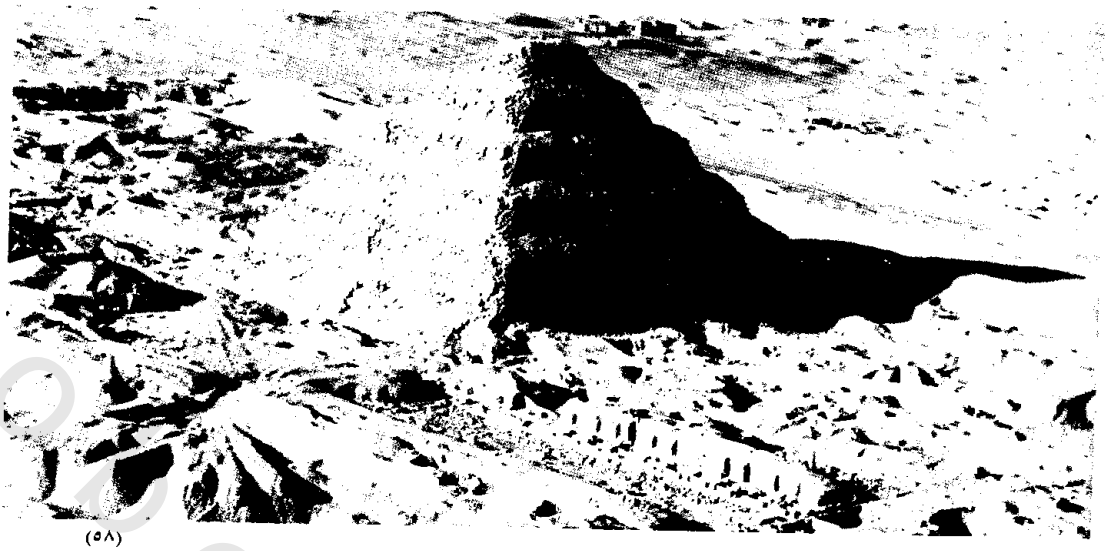

(٥٨)

الصورة (٥٨)
منظر جوى لهرم زوسر المدرج بسقارة كما يبدو من الواجهتين الجنوبية والشرقية، ويعتبر هذا الهرم قمة التحف الهندسية التى ابتدعها وصممها المهندس العظيم إيمحوتب فى عصر الأسرة الثالثة [٢٦٨٠ ق م]. وتظهر فى الصورة بقايا السور الذى كان يحيط بالحرم المقدس للهرم والمنشآت الأخرى الملحقة به.

الصورة (٥٩)
السور الذى كان يحيط بالمجموعة الهرمية لهرم زوسر المدرج بسقارة. وقد بنى بنظام «الداخل والخارج». وكان يتضمن أربع عشرة بوابة منها بوابة واحدة فقط حقيقية كانت تستعمل للدخول ــ والخروج ــ إلى ساحة الهرم. أما البوابات الثلاثة عشرة الأخرى فكانت بوابات وهمية.

• تصوير: بيتر كلايتون.

(٥٩)

obeikandl.com

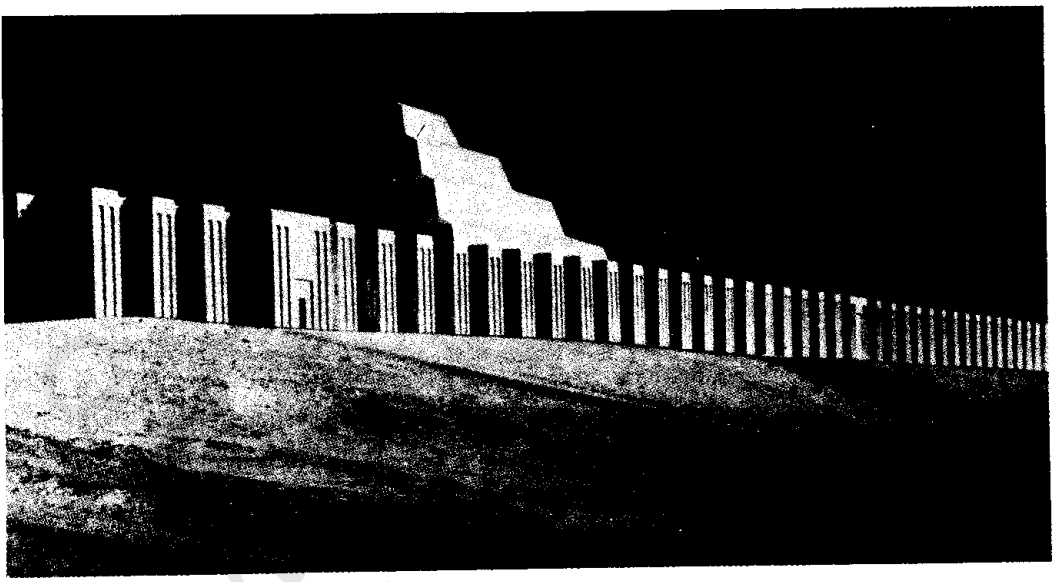

الصورة (٦٠) (٦٠)

رسم متخيل للسور المحيط بالهرم المدرج بسقارة كما يبدو من الواجهة الجنوبية الشرقية. ونرى البوابة الحقيقة التى كانت تستعمل للدخول والخروج إلى يسار الرسم. كما نرى بقية البوابات الوهمية.

● من اعداد معهد الفن والآثار بباريس. والصورة بإذن خاص من الدكتورج لوير.

فى بداية عصر الأسرات كان نظام تشييد المبانى يقوم أساساً على استخدام الطين فى كساء السيقان النباتية التى تشيد بها الأكواخ البدائية، وهى الطريقة التى مازالت متبعة حتى الآن فى بعض الأنحاء الفقيرة من الريف المصرى.

وعندما عرف المصريون كيفية استخدام قوالب الطين وكتل الأخشاب الصالحة لإقامة الأسقف ودعائم الجدران والتى كانوا يستجلبونها من لبنان، تشجعوا فى تغيير وتطوير أنماط البنايات وأحجامها خصوصاً بالنسبة للمبانى والمنشآت الهامة كالقصور والمعابد. وذلك بالرغم من أنهم قد حرصوا على تزيين وزخرفة تلك المبانى والمنشآت التى بنوها بهذه الطريقة الجديدة بزخارف توحى بشكل وتصميم المبانى والمنشآت القديمة التى كانت تبنى بالسيقان النباتية المكسوة بالطين.

وقد استخدمت هذه الطريقة الجديدة فى اقامة وانشاء مبانى وبيوت الأحياء والمنشآت العلوية التى كانت تقام فوق «بيوت الأبدية» أى فوق مقابر الموتى.

وفى بداية عصر الدولة القديمة ظهرت بوادر التطور الكبير فى فن العمارة نتيجة لحرص المصريين القدماء على البحث عن مواد للبناء أكثر دواماً وأطول عمراً من

المواد التى كانوا يستعملونها، فاستخدموا الأخشاب وقوالب الطين بدلاً من استخدام الحزم المربوطة من سيقان البردى، والحصير المصنوع من نبات الأسَل أو السَّمَار، والسقوف المقامة بجذوع النخيل أو بالنباتات المكسوة بالطين.

وفى بداية هذا العصر أيضاً بدأ استخدام الحجر فى إقامة بعض أجزاء مبانى الأحياء خصوصاً الأجزاء الأساسية من تلك المبانى، والتى تتطلب الكثير من الصلابة لتحمل كثرة الاستعمال، مثل العتبات وأعتاب النوافذ ودعائم الأبواب. وذلك بالرغم من عدم استخدام الأحجار فى إقامة وانشاء مبانى الأحياء بكاملها، حتى ولو أقيمت هذه المبانى لأكبر هؤلاء الأحياء رفعة ومقاماً. أما المبانى والمنشآت التى كانت تقام للأموات، فقد بدأ استخدام الأحجار فى انشائها بالكامل.

ولعل بداية استخدام الأحجار فى إقامة تلك المبانى قد نشأ أساساً نتيجة لحرص قدماء المصريين فى ذلك العصر على إقامة مبنى للملك المتوفى يبقى فيه أبد الدهر كله. وبالرغم من العثور على بعض النقوش المكتوبة التى تدل على أن ثمة معبد قد بنى كله بالحجر أثناء حكم الملك والد الملك زوسر، إلا أن طريقة وفن البناء بالحجر اعتبرت من الناحية التقليدية منسوبة إلى الوزير إيمحوتب.

■ أهرام سقارة ودهشور:

تتكون مقبرة الملك زوسر من شبكة من الممرات والدهاليز والأبهاء تقع تحت مبنى حجرى يتكون من ست مصاطب مستطيلة الشكل وذات جوانب مائلة مبنية فوق بعضها، وتتضاءل كل منها فى المساحة كلما اتجهنا إلى أعلى. ويصل ارتفاعها الكلى إلى نحو ٢٠٠ قدم [حوالى ٦٠,٩٦ متراً] [الصورة ٥٨].

ويطل هذا الهرم المدرج على مجموعة من المبانى والمنشآت يحيط بها سور يصل محيطه إلى أكثر من ميل واحد [أى أكثر من ١٦٠٩,٣٥ متراً]. كما يصل ارتفاع هذا السور إلى مايزيد على ٣٣ قدماً [أكثر من ١٠ أمتار] [الصورتان ٥٩، ٦٠].

وتضم هذه المساحة الواسعة مجموعة من الساحات والصروح المبنية بنفس الطراز والتصميم المماثل للمنشآت والصروح الخفيفة التى استخدمها الملك زوسر أثناء

حياته، والتى أقيمت بمناسبة الاحتفالات والطقوس التى كان يؤديها أثناء توليه الملك، سواء الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة اعتلائه العرش أو الاحتفالات التى أجريت فى يوبيله الثلاثينى «حِبْ سِدْ»، حيث كان الملك يقوم عادة بأداء بعض الطقوس والمراسم مرتين: مرة باعتباره ملك الوجه القبلى فيلبس الرداء الخاص بذلك ويستخدم الشارات والعلامات المميزة لحكام الوجه القبلى. ثم يقوم الملك مرة أخرى بأداء الطقوس والمراسم الخاصة باعتباره ملك الوجه البحرى، فيرتدى ملابس أخرى ويستخدم شارات ورموزاً أخرى مميزة لحكام الوجه البحرى [الصور ٦٢، ٦٣، ٦٤].

وبالإضافة إلى تلك المنشآت والصروح فهناك أيضاً مبنى المعبد الجنائزى، والسرداب الخاص بتمثال الملك [وهو عبارة عن حجرة صغيرة ضيقة وضع بداخلها تمثال للملك المتوفى، وبأحد جوانبها فتحة يطل منها التمثال على القرابين التى كانت تقدم إليه بحجرة القرابين المجاورة للسرداب] [الصورتان ٦١، ٦٥].

وبالنظر إلى أن الغرض من إنشاء هذه الصروح هو تحقيق أغراض سحرية وليس تحقيق أغراض عملية فعلية، لذلك فإن أغلب هذه الصروح والمنشآت الأخرى عبارة عن «واجهات» فقط أقيمت أمام جدران مصمته تتكون من ركام من الدبش والأحجار غير المصقولة.

(٦١)

الصورة (٦١)

تمثال من الحجر الجيرى بالحجم الطبيعى للملك زوسر، عثر عليه بداخل «سرداب» مجاور للهرم المدرج. ويعتبر هذا التمثال واحداً من أهم وأقدم التماثيل الملكية فى التاريخ المصرى القديم. ونلاحظ أن غطاء الرأس «نِمِسْ Nemes» الذى يرتديه فوق «باروكة» من الشعر الكثيف له طَيّة أو حاشية متدلية ذات طرف مدبب، وهذا الطراز من أغطية الرأس لم يظهر مثله بعد ذلك فى التماثيل الملكية التالية لعصر زوسر. أما عينا التمثال الحقيقيتان فقد اقتلعها اللصوص فى أزمنة سابقة. وبالرغم من ذلك فلم يُنقِصْ هذا الاقتلاع من نظرة الإحساس بالقوة ولا من الوقار الملكى المقدس الذى يجسمه هذا التمثال.

● محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. تصوير: ماكس هيرمر.

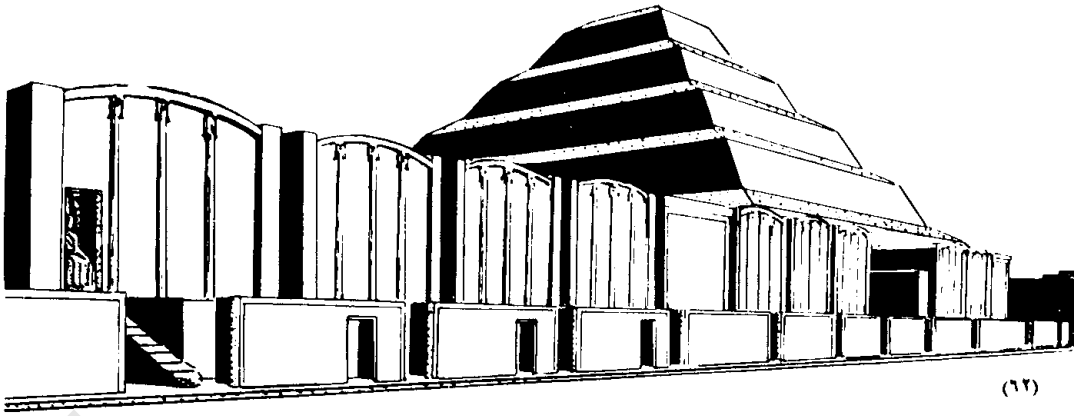

(٦٢)

الصورة (٦٢)

رسم متخيّل لساحة الاحتفال باليوبيل الخاص بالملك زوسر. وتقع هذه الساحة بداخل السور الذى كان يحيط بالمجموعة الهرمية الخاصة بالهرم المدرج بسقارة. وينكون السور المحيط بالساحة من مجموعة الواجهات مثل الظاهرة فى هذا الرسم. أما جسم هذه الواجهات وخلفها فينكون من الدبش وكسر الأحجار.

• من رسم سيريل ألدريد عن رسم للوبر.

الصورة (٦٣)

فى ساحة الاحتفال باليوبيل، عثر على عدة تماثيل للملك زوسر غير كاملة الصنع. ومن هذه التماثيل نتبين كيف كان يُقطع ويُدق الحجر لتحديد معالم الشكل العام للتمثال قبل نحت الملامح وبقية أجزاء التمثال بطريقة دقيقة ونهائية. وبالنسبة لهذا التمثال نلاحظ أن الملك زوسر كان يضع على رأسه باروكة من الشعر الكثيف، كما يدل النتوء أو البروزالحجرى الظاهرفوق الرأس على أن التمثال كان سيوضع ملتصقاً بجدار حائطى.

• تصوير: بيتر كلايتون.

(٦٣)

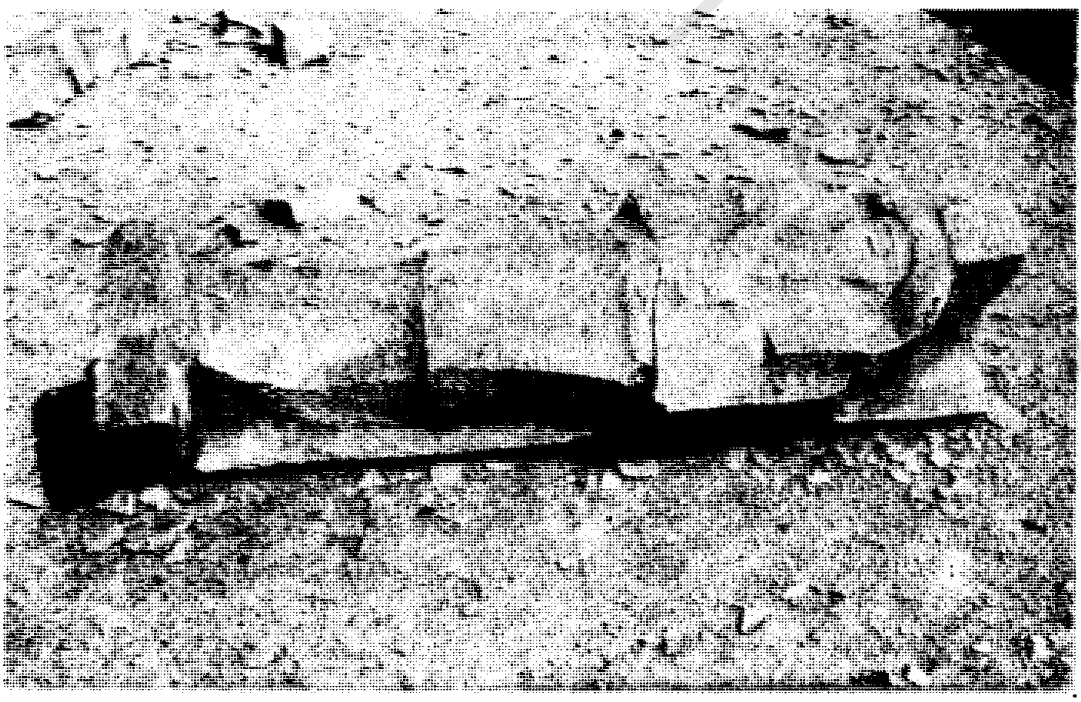

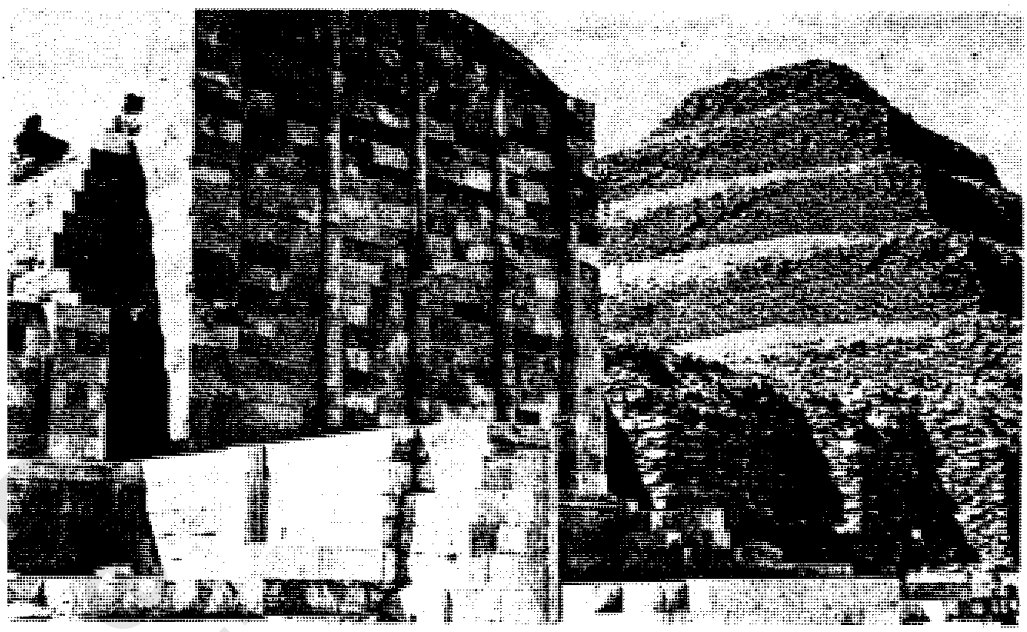

(٦٤)

الصورة (٦٤)

حين كان ج. لوير مديراً لمصلحة الآثار، قامت المصلحة بمشروع استغرق عدة سنوات أجرت خلالها عدة حفائر وكشوفات أثرية فى منطقة المجموعة الهرمية للهرم المدرج بسقارة، كما قامت باعادة بناء بعض الأجزاء واعادتها إلى أصلها طبقاً لما كانت عليه فى عصرها، معتمدة على الأحجار الأصلية التى كانت متراكمة ومهدمة بفعل الزمن. وقد أعيد بناء إحدى واجهات السور الذى كان يحيط بساحة الاحتفال باليوبيل طبقاً لهذه الطريقة. ونلاحظ أن خلفية هذه الواجهات كانت عبارة عن ركامات من الدبش وكسر الأحجار.

• تصوير: بيتر كلاينون.

كذلك فإن البوابات الأربعة عشرة المقامة على جوانب السور المحيط بهذه المجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر كلها بوابات مصمتة عبارة عن تقليد ومحاكاة للبوابات الأصلية، وليس بينها سوى بوابة واحدة تعتبر بوابة حقيقية تستخدم فعلاً للدخول أوالخروج.

وبالمثل فهناك محاكاة بنيت بالحجر لتقليد الأبواب الخشبية التى تبدو كما لو كانت مفتوحة للدخول إلى الأماكن المسموح بدخولها، بالإضافة إلى محاكاة حجرية أخرى لبعض الأبواب الخشبية التى تبدو مغلقة لمنع الدخول إلى الأماكن غير المسموح بدخولها [الصورة ٦٦].

ومما لاشك فيه أن هذه الطبيعة الوهمية لهذه المنشآت كانت مسيطرة تماماً على المهندس الذى وضع تصميم هذه البنايات والمنشآت، وعلى البنائين والحجّارين الذين نفذوا هذا التصميم، وكان من الواضح تماماً أن الجميع كانوا يشعرون بأنهم

(٦٥)

الصورة (٦٥)

تمثال الملك زوسر كما كان موضوعاً بداخل «السرداب» الملحق بالهرم المدرج بسقارة. وهذا «السرداب» عبارة عن حجرة مظلمة مغلقة بها فتحتان صغيرتان أمام غيّبى التمثال لينظر خلالها الملك المتوفى إلى القرابين التى كانت تقدم إليه. ونشير هنا إلى أن هذا التمثال عبارة عن تقليد للتمثال الأصلى الذى نقل إلى المتحف المصرى بالقاهرة.

• تصوير: بيتر كلايتون.

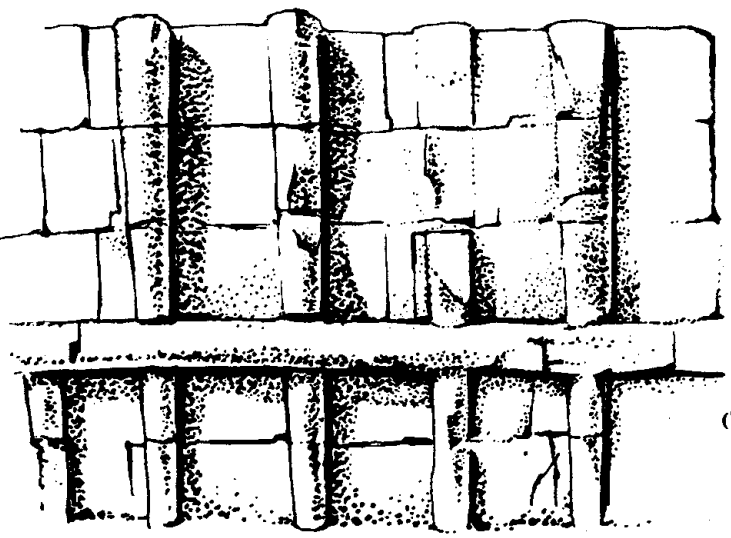

(٦٦)

الصورة (٦٦)

رسم توضيحى يبين كيف استعملت الأحجار فى عمل السواتر التى كانت تقام على الأوتاد والتى كانت تحول دون الدخول إلى الحرم المقدس لمنشآت الملك زوسر بسقارة.

• عن دريوتون ولوير.

يقيمون نوعاً جديداً من أنواع البناء، له طراز خاص غير مسبوق من قبل، بل وكانوا يحسون أيضاً بأنهم يستخدمون فى البناء مادة جديدة لم يسبق لهم التعامل معها من قبل. فبالنسبة للكتل الكبيرة من الأحجار نلاحظ أن تسويتها لم تكن على نحو دقيق. أما القطع الصغيرة مـــن الأحجار فقد استخدموها بنفس الطريقة السابقة التى كانوا يستخدمونها فى البناء بقوالب الطين. ومع ذلك فقد استطاعوا أن يشكلوا منها ومن البناء ذاته أشكالاً زخرفية مماثلة للمواد النباتية التى كانوا يستخدمونها من قبل. وذلك كتزيين الجدران بنتوءات حجرية على شكل حزم وربطات سيقان البردى تمثل أعمدة ذات تيجان على شكل قمم رؤوس النخيل. وقد أضفت هذه التشكيلات الحجرية روحاً من الواقعية الحيوية، بالرغم مما تمثله هذه المبانى والمنشآت باعتبارها منشآت جنائزية [الصورة ٦٧].

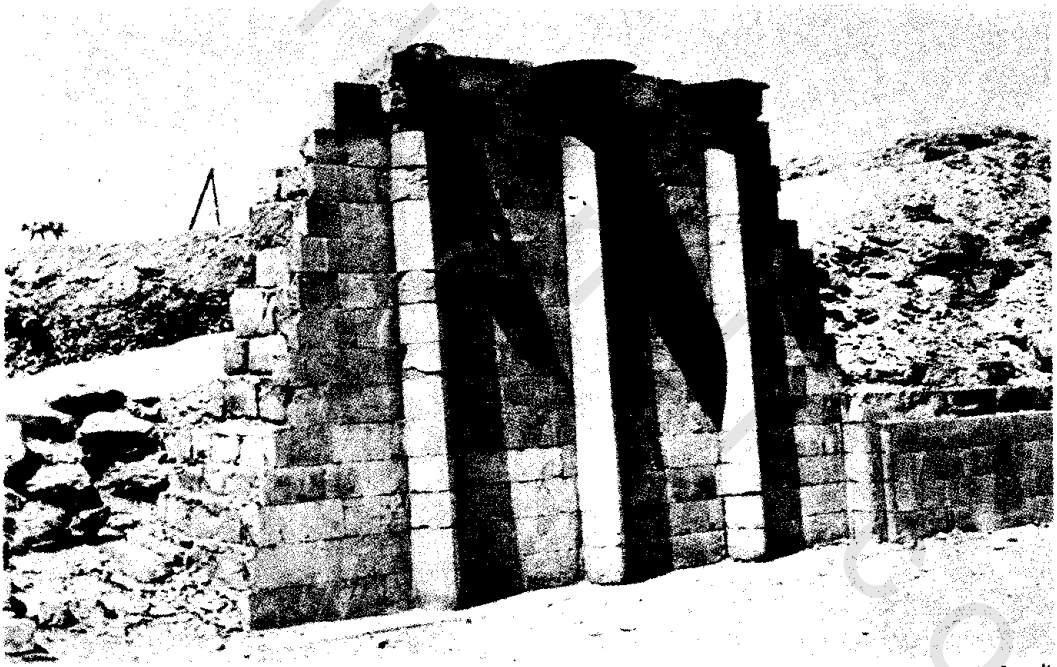

الصورة (٦٧)

(٦٧) المهندسون والبناءون الذين قاموا بإنشاء المنشآت الخاصة بالملك زوسر بسقارة لم يلزموا أنفسهم بإقامة أعمدة حاملة كاملة الاستدارة من الحجر بعد أن غيروا طريقة البناء التى كانت تستخدم قوالب الطين أو تستخدم حزم البردى المغموسة بالطين. ولذلك فقد قلدوا هذه الأعمدة باستخدام الأحجار، وجعلوها نصف بارزة من الحوائط أو الجدران التى تستند عليها. وتوجد هذه الأعمدة على الجانب الشرقى بشمال الساحة.

• تصوير: بيتر كلايتون.

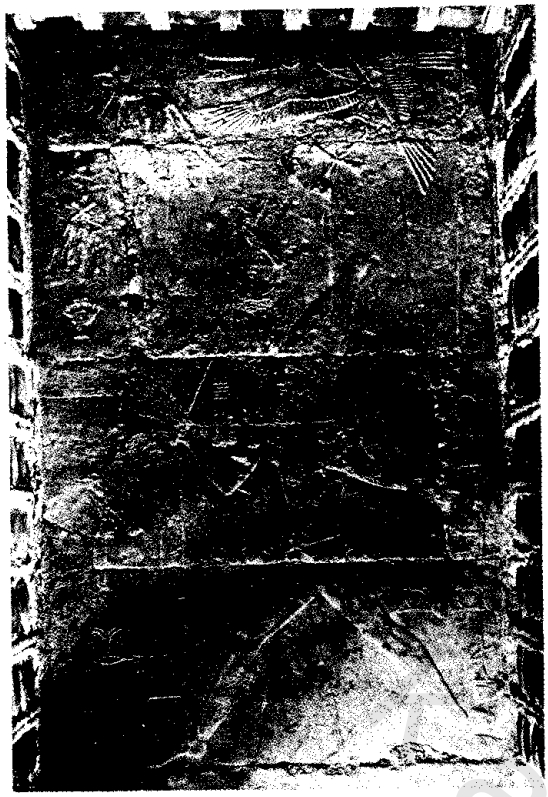

(٦٨)

الصورة (٦٨)
نقش بارز من المقبرة الجنوبية للملك زوسر، يمثله وهو يجرى بطريقة طقسية اثناء الاحتفال بيوبيله « عيد حب-سد » ويظهر الملك وهو يرتدى تاج الوجه القبلى الأبيض ويحمل فى يمناه مدقا أو مضرباً كان يستخدم لدرس الحنطة، ويحمل فى يسراه حقيبة صغيرة مصنوعة من الجلد. وفوق الملك يرفرف الصقر « حورس » إله إدفو حاملاً علامة الحياة « عنخ » وأمام وجه الملك كتب اسمه الحورسى « نتر إيخت » محمياً بالصقر حورس مرتديا التاج المزدوج الأبيض والأحمر. ويوجد هذا النقش بداخل كوة بالجدار حولها إطار من الرقائق الخزفية الملونة.
● تصوير: ماكس هيرمر.

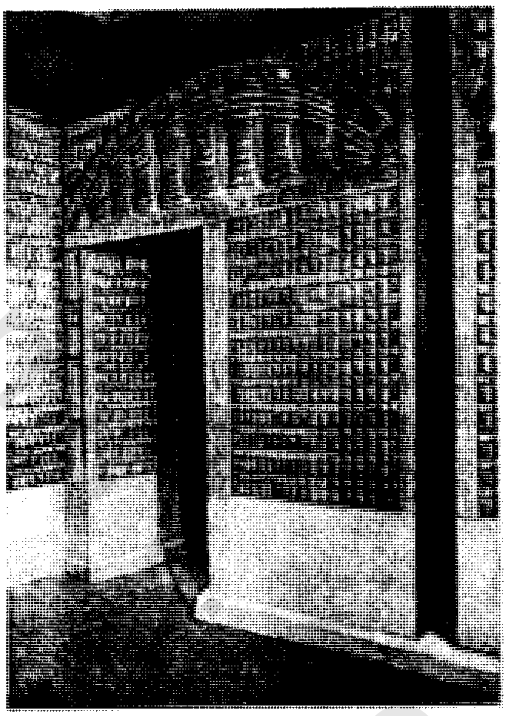

(٦٩)

الصورة (٦٩)
بعض حوائط وجدران المقبرة الجنوبية للملك زوسر كانت مغطاة برقائق من الخزف المزجج المصقول، تماثل الحصر الملونة التى كانت تزين جدران قصر الملك أثناء حياته الأولى.
● الصورة منقولة من رسم لسزفيرث، بإذن خاص من مصلحة الآثار بالقاهرة.

وبطبيعة الحال فقد كانت هذه المبانى والمنشآت أعجوبة زمانها فى ذلك العصر القديم الذى بنيت فيه وفى جميع الأجيال التالية؛ كما ظلت محتفظة بهذا الإبهار والإعجاب حتى وقتنا الحاضر، فلم تسبقها أية أبنية أو منشآت مماثلة لها على وجه الأرض. ومازالت بعض ممراتها الداخلية وحجراتها السفلية تحتفظ بالكثير من الأشياء والمكونات التى ما زالت بحالتها الجديدة الأولى بالرغم من مرور الزمن،

مثل الاطر التى تزين الجدران الداخلية والمحلاة برقائق القرميد المزججة باللون الأزرق اللامع والتى نضدت ونظمت لتحاكى الأشكال الزخرفية التى كانت تزين الحصر الملونة التى كانت تغطى بها جدران الحجرات الداخلية بالمبانى التى كان يعيش فيها الأحياء [الصورة ٦٩] والنقوش التى تحاكى التماثيل الضخمة للملك والتى تمثله فى وضع الجلوس أو وضع الوقوف. كما يوجد نصب تذكارى نقش عليه بالنحت البارز منظر للملك زوسر وهو يؤدى طقساً رياضياً نشيطاً أثناء احتفالاته باليوبيل الثلاثينى، وتظهر فيه كتابات وعلامات هيروجليفية تبرز معنى الشجاعة والثقة بالنفس [الصورة ٦٨]. كما عثر أيضاً على تابوت لطفل صغير مصنوع من ست طبقات رقيقة من الخشب ملتصقة ببعضها، كما عثر على عشرات الآلاف من الأوانى الأنيقة المصنوعة من المرمر أو من حجر البَريش الأخضر [وهو نوع من الصخر مؤلف من شظايا زوايا متلاحمة] أو من حجر الكريستال أو من حجر الحية [وهو نوع من الصخر الأخضر مرقّط كجلد الأفعى] أو من غير ذلك من الأحجار الغالية الأخرى. هذا بالإضافة طبعاً إلى الكنوز الأخرى التى كانت مخبوءة فى تلك المبانى والمنشآت والتى نهبت وسرقت فى عصور سابقة.

ومما لاشك فيه أن الفلاح المصرى الذى كان يعمل فى الحقول المجاورة لمنطقة سقارة فى تلك الأزمان السابقة، كان لا يعلم شيئاً عن تلك الكنوز المخبوءة بداخل تلك المبانى، ولكنه كان يرى السور العظيم الذى كان يحيط بها، ومن خلفه تلك المبانى والصروح الضخمة، وذلك الهرم المدرج الأبيض الذى كان يرتفع فى صمت إلى عنان السماء. وعندئذ كان مثل هذا الفلاح يحس بيقين شديد أن حكامه هم فى حقيقة الأمر آلهة حقيقيون.

وتدل بعض الشواهد الأثرية على أن بعض الملوك الذين خلفوا الملك زوسر مباشرة فى حكم مصر، كانت لهم محاولات لم يتمكنوا من اتمامها لإقامة أهرام مماثلة لهرم زوسر المدرج. ومع ذلك فقد تم ــ فى الخمسينات من هذا القرن ــ اكتشاف مجموعة هرمية خاصة بالملك «سِخِمْ خِتْ» وهو أحد ملوك الأسرة الثالثة من خلفاء الملك زوسر(٣). وتقع هذه المجموعة الهرمية بالقرب من المجموعة الهرمية

(٣) فى عام ١٩٥٤ اكتشف زكريا غنيم الهرم المدرج الناقص الذى كان مدفوناً تحت الرمال. =

الخاصة بالملك زوسر. ونلاحظ فيها منذ البداية أن بناءها قد تم باستخدام كتل الأحجار دون الاستعانة بقوالب الطين.

ويقع هذا الهرم الجديد المكتشف بالقرب من الجنوب الغربى للمجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر. ومن الواضح أن بناء هذا الهرم لم يكتمل قبل موت الملك سِخِمْ خِتْ الذى يحتمل أنه لم يحكم سوى ست سنوات توقف بعدها الاستمرار فى العمل لاستكمال مبانى ومنشآت المجموعة الهرمية التى كان الملك ينوى انشاءها، والتى كانت تتضمن بعض الصروح والمعابد وغير ذلك من المنشآت الأخرى.

ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع هذا الهرم الناقص نحو ١٢٠ متراً وذلك بقياس أضلاع قاعدة المصطبة الأولى للهرم. حيث لم توجد سوى هذه المصطبة الأولى وبقايا المصطبة الثانية التى تعلوها والتى لم يكتمل بناؤها. ويستدل من هذه المقاسات أن هذا الهرم كان سيتكون ــ لو تم بناؤه ــ من سبع مصاطب أى بزيادة مصطبة واحدة على المصاطب الستة التى يتكون منها هرم زوسر المدرج. وبذلك كان ارتفاع الهرم الناقص سيبلغ نحو ٢٣٠ قدماً [أى حوالى ٧٠ متراً] أى بزيادة نحو ٢٦ قدماً [أى ٧,٩ متراً] على ارتفاع هرم زوسر.

ويحيط بالهرم الناقص سور مماثل للسور الذى يحيط بالمجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر، وإن كان أقل منه من ناحيتى الطول والعرض. ومقاسات هذا السور على وجه التقريب تبلغ نحو ٢٠٠×٥٥٠ متراً. ومعنى ذلك أن مساحة الساحة الداخلية التى يحيط بها هذا السور تبلغ نحو ثلثى المساحة التى يحيط بها سور المجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر.

وفى منطقة هذا الهرم الناقص لوحظ وجود طريق مائل صاعد من المحتمل أنه استخدم اثناء بناء الهرم، وكان يمتد طولاً ويرتفع علواً كلما استمر ارتفاع مصاطب

= وبمواصلة الحفر اكتشف الكثير من المواد الأثرية منها بقايا ثور وبقايا بعض الطيور والحيوانات الأخرى التى يبدو أنها كانت مقدمة كقرابين، واكتشف مجموعة من الحلى و٦٢ قطعة صغيرة من أوراق البردى عليها كتابات ديموطيقية. كما اكتشف دهليزاً به ١٢٠ مخزناً صغيراً تحتوى على أوانى حجرية كاملة وغير كاملة كتب على بعض منها اسم الملك «سِخِمْ خِتْ» الذى اعتلى العرش بعد الملك زوسر [المترجم].

الهرم أثناء عمليات البناء. وقد وجدت الكثير من الأحجار المستوية بخشونة على مسافات منفصلة من الركام الذى كان يتكون منه هذا الطريق الصاعد.

أما الأحجار التى استخدمت فى بناء هذا الجزء المكتشف من الهرم الناقص، فقد استخرجت من المحاجر المحلية التى تقع فى غرب موقع الهرم.

وقد تم اكتشاف هذا الهرم المدرج الناقص بمعرفة المرحوم زكريا غنيم [فى سنة ١٩٥٤] الذى أدت حفائره إلى اكتشاف ممرات سرية تحت قاعدة الهرم كانت تؤدى إلى حجراته الداخلية. كما عثر المكتشف على مجموعة من الأوانى الحجرية والخزفية مختومة بأختام من الطين تحمل اسم الملك سِخْم خِتْ الذى لم يكن معروفاً أو كانت له آثار ظاهرة حتى ذلك الوقت.

كذلك فقد عثر على خبيئة من الحلى والمجوهرات التى يرجع تاريخها طبعاً إلى عصر الأسرة الثالثة. وتتكون هذه الخبيئة من واحد وعشرين سواراً ذهبياً من مقاسات مختلفة، ومن زوج من الملاقط مصنوع من الإلكتروم [وهو خليط من الذهب والفضة]، بالإضافة إلى عقد مصنوع من الذهب وصندق صغير مصنوع من الذهب على شكل محارة صدفية.

وفى حجرة الدفن المبنية تحت قاعدة الهرم الناقص عثر المكتشف على تابوت مصنوع من قطعة واحدة من المرمر(٤). ويتميز هذا التابوت الفريد بوجود باب منزلق فى أحد جوانبه بداخل مجرى بحيث يمكن رفعه إلى أعلى أو خفضه إلى أسفل [الصورة ٧٠]. وعندما قام المكتشف بفتح هذا التابوت، فوجىء بأنه فارغ ولا يتضمن مومياء الملك، الأمر الذى أدى إلى تقرير أن حجرة الدفن ليست سوى ضريح أو نصب تكريمى لشخص دفن فى مكان آخر Cenotaph. أما مومياء الملك فقد قرر المكتشف أنها مدفونة فى مكان آخر تحت هذا الهرم الناقص أو بالقرب منه.

---

(٤) تقع حجرة الدفن بهرم «سِخِمْ خِتْ» المدرج الناقص على مسافة ٧٢ متراً من مدخل الهرم. وهى مستطيلة الشكل طولها ٨,٢٠ متراً وعرضها ٥,٢٢ متراً وارتفاعها ٥ أمتار. أما التابوت المصنوع من المرمر فيبلغ طوله ٢,٣٧ متراً وعرضه ١,٤٠ متراً وارتفاعه ١,٨٠ متراً [المترجم].

ولكن عالم المصريات م. چ. لوير بعد أن قام ببعض الدراسات على آثار المنطقة، قرر أن حجرة الدفن بهذا الهرم قد اقتحمت ونهبت فى عصور قديمة سابقة، كما قرر أن البقايا النباتية التى وجدت موضوعة فوق هذا التابوت لم تكن بقايا متآكلة لإكليل جنائزى من الزهور وضع أثناء عملية دفن الملك كما كان يظن من قبل، وإنما هى بقايا العصا الخشبية التى استعملها اللصوص القدماء أثناء اقتحامهم للمدفن الملكى. وعلى أية حال فإن هذا الهرم ما زال فى حاجة إلى اجراء المزيد من الحفائر والدراسات الأثرية.

وقد قام العالم لوير بإجراء بعض المجسات وحفائر سبر الأعماق فى نفس المنطقة فى موسم ١٩٦٢ ــ١٩٦٣ واستدل منها على وجود بقايا آثار شديدة التخريب لعدد من المبانى والمنشآت المماثلة للمبانى والمنشآت الموجودة بداخل المجموعة الهرمية للملك زوسر، ولكنه توقف عن الاستمرار فى هذه الاكتشافات بسبب نقص الاعتمادات المالية اللازمة.

الصورة (٧٠) (٧٠)

التابوت المصنوع من الألبستر والخاص بالملك «سِخِمْ خِتْ» حيث عثر عليه بحجرة الدفن أسفل الهرم الناقص. ونلاحظ وجود السدادة المنزلقة التى كانت تغلق التابوت وهى نصف مرفوعة إلى أعلى. كما نلاحظ وجود بعض المواد النباتية وقطعة من الرافعة الخشبية وجدت فوق التابوت.

وعلى ذلك يمكن القول بأن استخدام الأحجار الضخمة فى إنشاء المبانى والمنشآت الجنائزية قد بدأ فى عهدى الملكين زوسر وسِخِمْ خِتْ من ملوك الأسرة الثالثة، وأن استمرار هذه الطريقة فى البناء تواصل فى عهود خلفائهما من ملوك مصر الآخرين، خصوصاً ملوك الأسرة الرابعة الذين أقاموا العديد من المبانى والمنشآت الهرمية المماثلة فى مناطق دهشور(٥) وميدوم(٦) والجيزة [الصورة ٧٦]. وليس هناك أدنى شك فى مدى تأثير كهنة هليوبوليس على استمرار هذه الطريقة فى استخدام الأحجار فى بناء الأهرام، وذلك بالنظر إلى أن الشكل الهرمى كان ذا دلالة كبرى فى عقيدة عبادة رع إله الشمس التى كانت سائدة فى هليوبوليس. وذلك بالرغم من أن الأهرام التى بنيت فى كل من دهشور وميدوم كانت ذات طرز وأشكال غير عادية بمقارنتها بالشكل الهرمى الكامل.

وتدل بعض الكتابات التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة على أن الملك سنفرو(٧) وهو أحد ملوك هذه الأسرة قد قام ببناء هرمين: أحدهما هو ما يسمى بالهرم المنحنى الذى يقع بمنطقة دهشور، وقد نسب إليه على نحو مؤكد طبقاً للدلائل الأثرية التى وجدت مكتوبة على بعض منشآت المنطقة وعلى نصب تذكارى عثر عليه أيضاً بنفس المنطقة المحيطة بهذا الهرم. وتدل هذه الشواهد

---

(٥) تقع دهشور إلى الجنوب من سقارة. وبها جبانة أثرية واسعه تضم العديد من المقابر التى يرجع تاريخها إلى عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى. وبها خمسة أهرام، اثنان منها للملك سنفرو، وثلاثة لملوك الدولة الوسطى [المترجم].

(٦) تقع ميدوم بمحافظة بنى سويف. وبها الهرم المعروف باسمها. وهو الهرم الذى بدأ بناءه الملك حونى وأكمله الملك سنفرو. وتوجد حوله جبانة للنبلاء بها عدة مقابر أهمها مقبرة «نِفِرْ مَاعِتْ» ومقبرة الأمير «رَعْ حُتِبْ» وزوجته الأميرة «نفرت» [المترجم].

(٧) هو مؤسس الأسرة الرابعة. وأصبحت مصر فى عهده مستقرة كمملكة متحدة ثابتة الأركان، وفى يد الملك تركزت كل الأمور. ومن الناحية الإدارية ابتدع وظيفة حاكم المقاطعة الذى كان يلقب بلقب «الأول بعد الملك». وكانت هناك ٢٢ مقاطعة فى الوجه القبلى و٢٠ مقاطعة فى الوجه البحرى. وكان حاكم كل مقاطعة مسئولاً أمام الملك مباشرة، بالرغم من أنه كان يستعين فى أداء وظيفته بعدد كبير من الموظفين ورجال القضاء والشئون المالية. وفى عهد الملك سنفرو أوفد أسطولاً مكوناً من ٤٠ سفينة بحرية عادت محملة بأخشاب الأرز من لبنان. كما أرسل حملة إلى بلاد النوبة وعدة حملات للتعدين فى سيناء. وقد عرف سنفرو فى التاريخ المصرى باسم «الملك العادل الرحيم» و«الملك المحسن» و«الملك المحبوب» [المترجم].

(٧١)

الصورة (٧١)

صورة من الجو لهرم ميدوم [٢٦٣٠ ق م] ويبدو قائماً فوق تل على شكل قمعى. وهذا التل مكون بصفة رئيسية من انقاض الكساء الخارجى للهرم الذى تهدّمت أحجاره وتساقطت فى الأزمنة القديمة. ويظهر فى الصورة المعبد الجنائزى الصغير الذى حفظ جيداً لأنه كان مدفوناً على عمق كبير تحت الانقاض وركام الأحجار. [بالنسبة لكروكى هذا الهرم انظر الشكل (ب) من الصورة ٧٦].

الصورتان (٧٢)، (٧٣)

المعبد الجنائزى الصغير الملحق بهرم ميدوم، وهو مبنى كلية من الحجر الجيرى المجلوب من منطقة طرة، وتبلغ مساحته حوالى ٣٤ قدماً مربعاً [١٥,٣٦ متراً مربعاً] وأقصى ارتفاعه ٩ أقدام [٢,٧٤ متراً]. ويقع مدخله بالجهة الجنوبية بين جدارين متوازيين بزاويتين قائمتين. ويؤدى المدخل إلى حجرتين متوازيتين ومتداخلتين. وبين هذين الجدارين نلاحظ وجود مذبح منخفض يقع بين قائمين حجريين على شكل النصب التذكارية والطرف الأعلى لكل منها مستدير، وهما منحوتان من الحجر الجيرى وخاليان تماماً من أية كتابة، كما أن الجانب السفلى من المعبد يدل على أن البناء قد توقف أثناء تشييده، بالإضافة إلى أن هذين القائمين الحجريين كان من المفترض أنها من النصب الجنائزية التذكارية الخاصة بالملك، وكان من المفترض أيضاً أن يكتب عليها اسم الملك وألقابه.

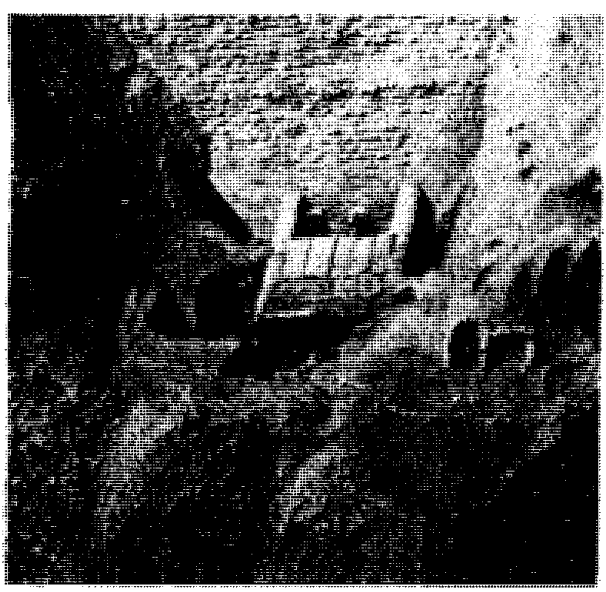

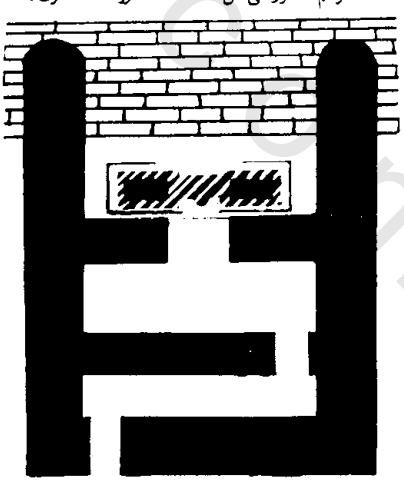

• الرسم الكروكى من اعداد الدكتور أحمد فخرى.

(٧٢)

شمال ←

الأثرية أيضاً على أن هذا الهرم قد عُرّف فى تلك الكتابات باسم «الهرم الجنوبى للملك سنفرو» (٨) [الصورة ٧٤]. أما الهرم الشمالى (٩) الذى يعتقد أنه منسوب أيضاً إلى الملك سنفرو، فيقع على بعد نحو ميل واحد فى اتجاه الشمال من هرمه الجنوبى.

ويقول بعض الدارسين للآثار المصرية أن الملك سنفرو قد بنى أيضاً هرماً ثالثاً يقع فى منطقة ميدوم جنوب الهرم المنحنى بدهشور [الصور ٧١، ٧٢، ٧٣]. وبالرغم من أن هذا القول يبدو مقبولاً بما يؤيده من الشواهد الأثرية، إلا أن هناك تفسيراً معقولاً آخر يمكن الأخذ به. فقد ظل الاعتقاد قائماً بأن هرم ميدوم هذا منسوب إلى الملك «حونى» (١٠) وهو سلف غامض للملك سنفرو. ومع ذلك، وبسبب تماثل طريقة بناء هذه الأهرام الثلاثة، فقد قيل أن الملك سنفرو هو الذى تولى أمر بنائها كلها، ولكن يمكن القول مع ذلك بأن الملك سنفرو هو الذى أكمل بناء هرم ميدوم الذى شرع فى بنائه سلفه الملك حونى، وأن سنفرو قد توسع فى بناء واستكمال هذا الهرم.

والشكل الحالى لهرم ميدوم يبدو غريباً بمقارنته بأشكال الأهرام الأخرى، فهو يقف قائماً فوق تل قمى تكون غالباً من ركام الأحجار التى تساقطت من الأجزاء العليا للهرم، ومن كسوته الخارجية. وهناك أمل كبير فى حل الكثير من مشاكل

(٨) قاعدة الهرم المنحنى مربعة، وطول كل ضلع من اضلاعها ١٨٨,٦٠ متراً. ويصل ارتفاع الهرم إلى ١٠١,١٥ متراً. وزاويه ميله هى ٥٤ درجة و٣١ دقيقة و١٣ ثانية حتى ارتفاع ٤٩,٠٧ متراً. ثم تتغير زاوية الميل بعد ذلك حتى القمة إلى ٤٣ درجة و٢١ دقيقة [المترجم].

(٩) وهو هرم ضخم يكاد ينافس فى حجمه هرم خوفو. ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع القاعدة نحو ٢٢٠ متراً ويبلغ ارتفاعه ٩٩ متراً وزاوية ميله ٤٣ درجة و٤٠ دقيقة، وهى زاوية تقل كثيراً عن زوايا ميل معظم الأهرام الأخرى [المترجم].

(١٠) من المرجح أن الملك «حو» أو «حونى» كان السلف المباشر للملك سنفرو. وقد استمر حكمه نحو ٢٤ عاماً على أقل تقدير. وقد بدأ هذا الملك فى بناء هرمه فى منطقة ميدوم ولكن يبدو أنه مات قبل أن يكتمل فقام سنفرو بهذا العمل الأمر الذى أدى إلى وقوع بعض المؤرخين وعلماء الآثار فى الخطأ ونسبوا هذا الهرم إلى الملك سنفرو. وكان الارتفاع الأصلى لهذا الهرم ٩٢ متراً وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة ١٤٤ متراً. وزاوية ميله ٥١ درجة و٥٣ دقيقة. وعلى أية حال فالأمر مازال يحتاج إلى إجراء المزيد من الحفائر لإزالة الردم المحيط بقاعدة الهرم لمعرفة أصول عمارته وحقائق تاريخه [المترجم].

وغوامض فن العمارة الذى ساد فى الأسرة الرابعة عند إجراء المزيد من البحوث الأثرية بعد إزالة هذا الركام المحيط بهرم ميدوم، وإجراء المزيد من البحوث والحفائر الأثرية فى المنطقة المحيطة به. وعندئذ سيتأكد على نحو قاطع معرفة اسم صاحب هذا الهرم.

والجدير بالذكر أن العالم ماريت قد عثر فى قبر مجاور لهرم ميدوم على التمثالين الرائعين الشهيرين للأمير رع حوتب وزوجته الأميرة نفرت [الصورة ١٠٥].

ويعتبر الهرم الشمالى للملك سنفرو الذى يقع بمنطقة دهشور أول الأهرام التى اتخذت الشكل الهرمى الكامل حيث تنحدر جوانبه المائلة بزواية قدرها ٤٣°، ٣٦'. وهى زاوية تختلف عن مقاس زاوية الأهرام التى بنيت بعد عصر سنفرو والتى تبلغ غالباً نحو ٥٢ درجة.

وبالقرب من هذا الهرم الشمالى توجد مجموعة من المصاطب الخاصة بمقابر اعضاء البلاط وكبار الموظفين الذين كانوا مقربين للملك سنفرو، كما عثر على نقوش مكتوبة فى عصر تالٍ يرجع تاريخها إلى العام الحادى والعشرين من حكم الملك بيبى الأول (١١) تقرر صدور قرار أو مرسوم ملكى باعفاء «هرمى سنفرو» من بعض الضرائب، الأمر الذى يفهم معه نسبة هذا الهرم الشمالى إلى الملك سنفرو دون غيره.

أما الهرم الجنوبى، وهو الهرم المنحنى، فهو فريد فى شكله كما هو فريد فى تصميمه [الصورة ٧٤]، فهو يتضمن مدخلين منفصلين، يقع الأول منهما فى منتصف الواجهة الشمالية للهرم، وعلى ارتفاع نحو ٤٠ قدماً [نحو ١٢,٢٠ متراً] فوق سطح الأرض. ويقع المدخل الثانى على بعد نحو ٤٥ قدماً [نحو ١٣,٧٢ متراً] من منتصف الواجهة الغربية لهذا الهرم.

وهذا المدخل الأخير الذى يقع بالواجهة الغربية للهرم الجنوبى للملك سنفرو، يعتبر الاستثناء الوحيد المعروف فى جميع الأهرام التى بنيت فى عصر الدولة القديمة والتى تقع مداخلها بالواجهات الشمالية لهذه الأهرام بصفة عامة.

---

(١١) من ملوك الأسرة السادسة [المترجم].

ويؤدى كل مدخل من هذين المدخلين إلى غرفة منفصلة، حيث يؤدى المدخل الشمالى إلى غرفة منحوتة تحت مستوى الأرض، بينما يؤدى المدخل الغربى إلى حجرة أخرى على مستوى الأرض تقع عند الركن الجنوبى الشرقى للغرفة السفلية. وثمة ممر ضيق يصل بين هاتين الغرفتين، ويوجد بأعلى السقف المُطَنَّف للغرفة السفلية [الصورة ٧٥].

وأخيراً نشير إلى أن الكثير من المشاكل والمسائل الغامضة المتعلقة بهذه الأهرام الثلاثة بمنطقتى دهشور وميدوم ليست مستعصية أو مستحيلة الحل، وإنما يلزم اجراء الكثير من البحوث والحفائر حتى يمكن الوصول إلى الحقائق المؤكدة على نحو قاطع (١٢)

■ اهرام الجيزة

أما القمة التى وصل إليها تطور فن العمارة فى الدولة القديمة فتتمثل فى الهرم الأكبر الذى بناه الملك خوفو(١٣) فى منطقة الجيزة [الصورة ٧٧].

وكان الوزير «حِمْ إيُونُو» ابن عم للملك، وكان يحكم وظيفته مشرفاً على أعمال الملك، وبالتالى كان المسئول الأول الذى أنيط به تنفيذ بناء هذا الأثر العظيم الذى بلغ أعلى درجة مدهشة من الدقة التى نفذت وتحققت بأبسط

(١٢) فى ابريل ١٩٨٩، عثرت بعثة أمريكية للتنقيب على الآثار، على تمثال من المرمر للملك سنفرو، وذلك بجوار هرم «سيلا» بمنطقة الفيوم. ويعد هذا الكشف الأثرى على درجة كبيرة من الأهمية. وقد بدأ العلماء فى إجراء الدراسات لمعرفة السر فى وجود تمثال للملك سنفرو فى هذه المنطقة [المترجم].

(١٣) بالرغم من شهرته العريضة فى التاريخ القديم والحديث باعتباره صاحب الهرم الأكبر الذى كان ومازال إحدى عجائب ومعجزات الدنيا فإننا لانعرف عن تاريخه إلا القليل. وهو ابن الملك سنفرو، واسمه المصرى القديم بالكامل هو «خنوم خوفوى» ولكنه اختصر قديماً إلى خوفو. وقد بلغت مصر فى عهده إلى قة فى الإمكانيات المادية والكفايات الفنية. وقد عثر على اسمه منقوشاً على محجر للديوريت يقع فى منطقة جنوبية بعيدة فى عمق الصحراء الغربية شمال شرق أبو سمبل، حيث نقلت منها الأحجار التى استخدمت فى رصف وتبليط معبده الجنائزى وفى عمل ١٤ تمثالاً له تمثله واقفاً ولكن هذه التماثيل كلها قد حطمت ولم يبق منها سوى بقايا متناثرة صغيرة. كما وجد اسمه أيضاً منقوشاً ضمن أسماء ملوك مصريين آخرين سبقوه أو خلفوه على جدران معبد أثرى قديم فى ميناء جبيل بلبنان.

(٧٤)

الصورة (٧٤)

الهرم المنحنى بدهشور [٢٦٠٠ ق م] كما يبدو من واجهته الشرقية. وكان من المفروض أن يتم بناء هذا الهرم طبقاً لزاوية ميل أضلاعه التى تبلغ ٥٤ درجة، ولكن الزاوية تغيرت فجأة وأصبحت ٤٢ درجة، الأمر الذى يعتقد معه أن تكملة بناء هذا الهرم قد تمت بسرعة. ونلاحظ أن الكسوة الخارجية لهذا الهرم [وللأهرام الأخرى بصفة عامة] كانت تبنى من الحجر الجيرى المجلوب من منطقة طرة على الضفة الشرقية للنيل، وهو حجر جيد ساعد فى صيانة الأهرام ومنعها من التهدم أو الانهيار.

● تصوير: بيتر كلاينون.

الصورة (٧٥)

سقف الحجرة السفلية بهرم دهشور، وهو مبنى بطريقة « الطُّنُف » أى أن المستوى الأعلى من الجدار يبرز قليلاً عن المستوى الموجود أسفله، وهكذا تبرز أطراف المستويات كلما ارتفعنا إلى أعلى، إلى أن تضيق المسافة بين المستويين العلويين من الجدار فيصبح من السهل تغطيتها بحجر واحد أو أحجار عدة لسد الفجوة أو المسافة بين الجدارين فيكتمل بهذا سقف الحجرة.

● تصوير: بيتر كلاينون.

(٧٥)

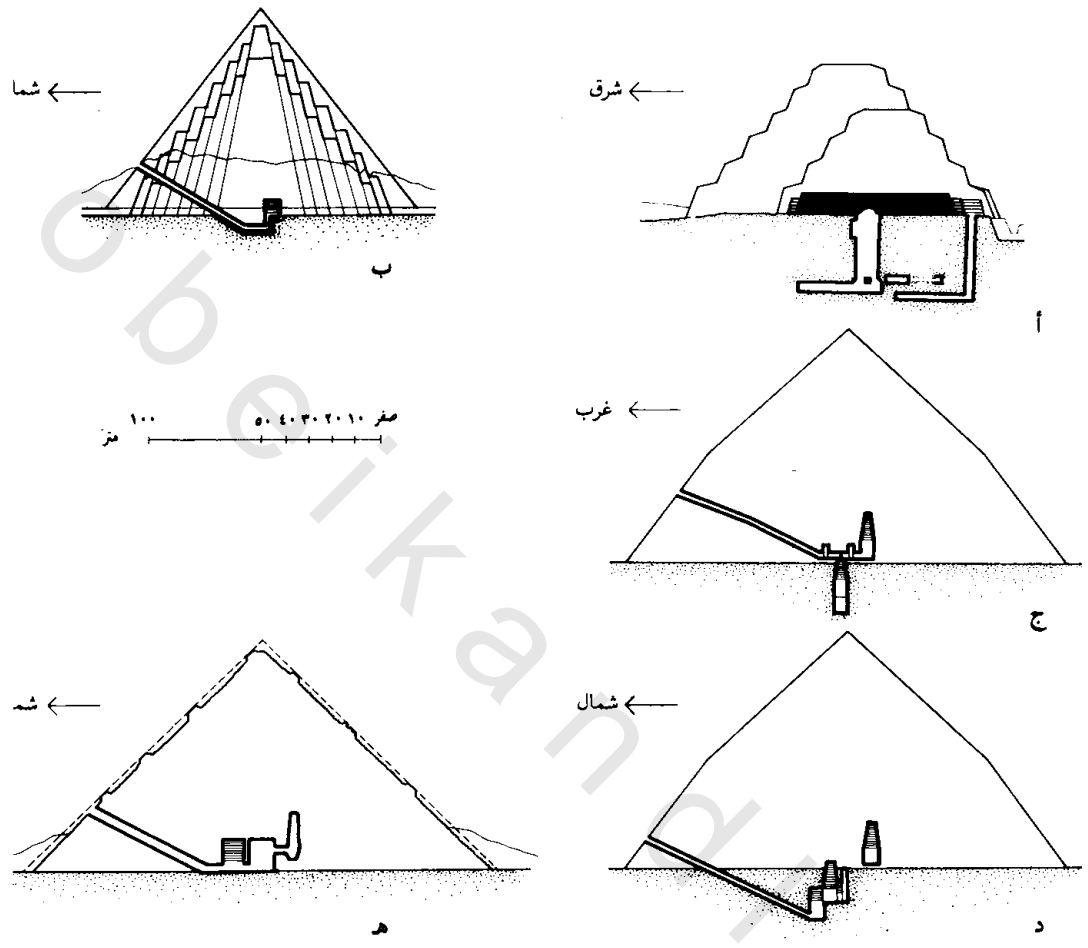

(٧٦)

الصورة (٧٦)

قطاعات هندسية لبعض الأهرام الرئيسية التى بناها ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة، رسمت كلها بمقياس رسم واحد لتحديد النسبة بين حجم كل هرم وآخر. (أ): هرم زوسر المدرج بسقارة. (ب): هرم ميدوم للملك حونى «؟». (جـ)، (د): اهرم المنحنى بدهشور لملك سنفرو. (هـ): اهرم الشمالى للملك سنفرو بدهشور. (و): اهرم الأكبر بالجيزة للملك خوفو. (ز): هرم خفرع بالجيزة. (ح): هرم منكاروع بالجيزة. ومن المعلوم أن ملوك الدولة القديمة قد بنوا أهراماً أخرى فى منطقتى أبو روّاش وأبوصير [أنظر الصور ٩٠ــ٩٣] ولكن معظم هذه الأهرام ومنشآتها الملحقة بها قد تخربت تماماً، كما أن بعضها الآخر لم يكتمل بناؤه، أو تنقصه العظمة الملكية، كما أن نسبة بعضها إلى ملوك معينين من الدولة القديمة تعتبر محل شك.

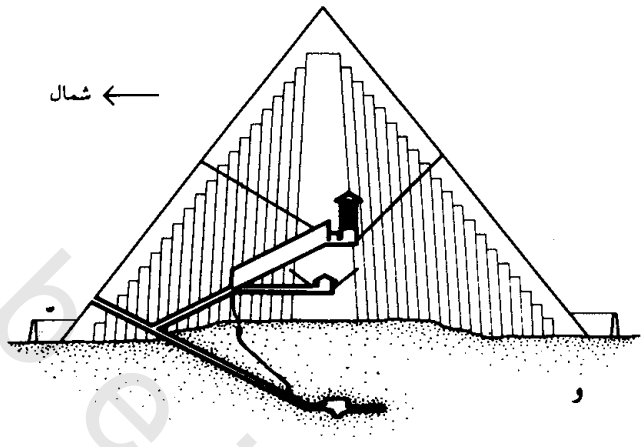

و

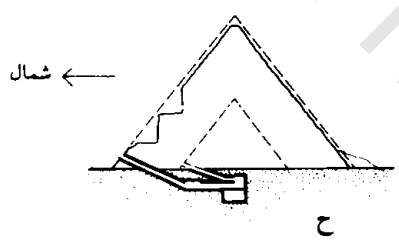

ح

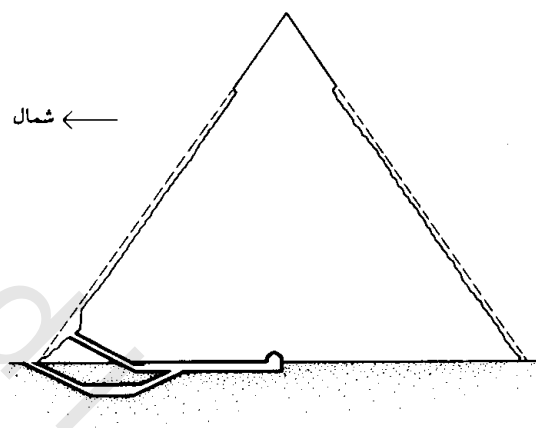

ز

الوسائل. وقد عثر على تمثال «حِمْ إيونو» بداخل مقبرته بالجيزة، وتظهر فى هذا التمثال ملامح الذكاء ودلائل العبقرية التى كان يتمتع بها هذا المهندس المعمارى العظيم [الصورة ٨٠] (١٤).

(١٤) من المحتمل أن يكون الأمير المهندس «حم ايونو» ابن أخ للملك خوفو أو ابن عم له. ومن القابه المعروفة انه: المهندس الملكى ومدير أعمال المنشآت المقدسة كلها. وللعالم چيمس هنرى برستيد نظرية أخرى فى اسم المهندس الذى أشرف على بناء هرم خوفو حيث يعتقد أنه أمير آخر اسمه «خوفو عنخ» وله تابوت محفوظ بالمتحف المصرى. [المترجم].

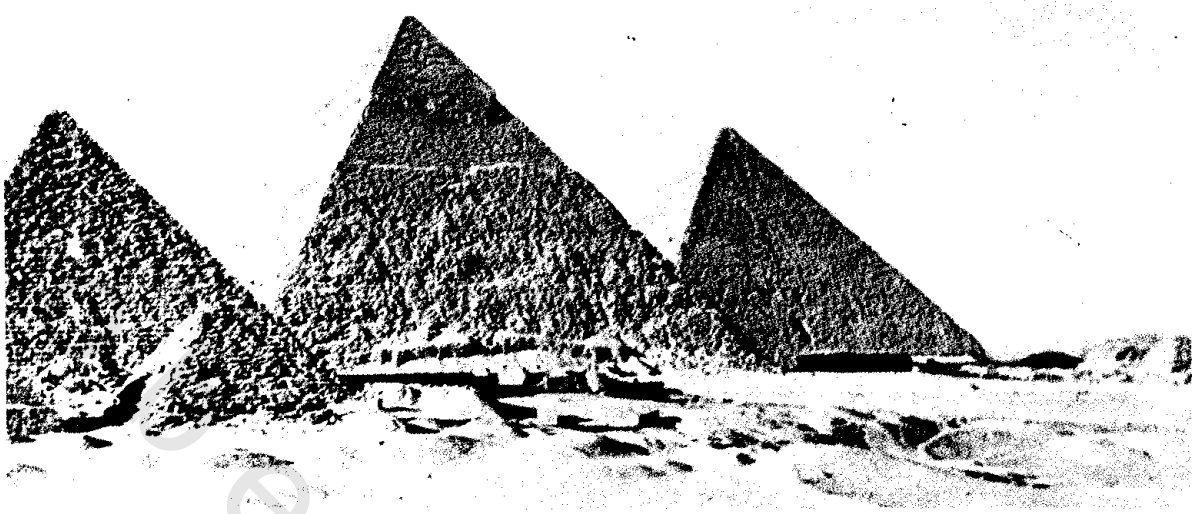

وقد تطلب بناء هذا الهرم استخدام أكثر من مليونى كتلة من الحجر الجيرى، يصل وزن بعضها إلى نحو ١٥ طناً (١٥). وقد استخرجت الأحجار التى استخدمت فى بناء جسم الهرم من المحاجر القريبة من المنطقة. أما الأحجار التى استخدمت فى الكسوة الخارجية فهى أحجار أكثر نعومة ونقاء، وقد استجلبت من محاجر «طره» على الشاطىء الآخر من نهر النيل (١٦).

وقد قيلت عدة نظريات فى الطريقة والكيفية التى اتبعها القدماء فى بناء الهرم لعل أقربها إلى المعقول هى النظرية التى قال بها العالم الأمريكى «دوس دنهام» Dows Dunham بعد أن أجرى العديد من الدراسات وقام بالعديد من الحفائر الأثرية فى منطقة الجيزة.

---

(١٥) أجرى علماء الآثار بعض الحسابات لتقدير عدد الكتل الحجرية التى استخدمت فى بناء جسم هرم خوفو، وتراوح تقديرهم ما بين ٢,٣ مليون و٢,٥ مليون كتلة. ومتوسط وزن الكتلة الواحدة ٢,٥ طنا ويصل وزن بعض الكتل إلى نحو ١٥ طنا، ويصل وزن بعض أحجار جدران البهو الأعظم وسقف حجرة الملك إلى نحو ٥٥ طناً. ويصل الوزن الاجمالى لكتلة الهرم الأكبر إلى نحو ٦ مليون و٨٤٠ ألف طن [المترجم].

(١٦) يتميز الحجر الجيرى المستجلب من محاجر طره بشرق النيل بأنه ناصع البياض وأملس ويمكن الحفر عليه بسهولة، وقد استعمل هذا النوع من الأحجار الجيرية فى كسوة الأهرام أو فى صناعة الأبواب الوهمية التى كانت تقام داخل المقابر والمصاطب. ولهذا فليس من الغريب أن اسمه الشائع حالياً هو «الحجر السلطانى» [المترجم].

(٧٧)

الصورة (٧٧)
أهرام الجيزة كما تبدو من الناحية الجنوبية الشرقية . وأمام أصغر هذه الأهرام الثلاثة [هرم منكاورع] تظهر ثلاثة أهرام صغيرة خاصة بثلاث من زوجاته . ويبدو هرم خفرع كما لو كان أعلى قليلاً من الهرم الأكبر [هرم خوفو] ذلك لأن هرم خفرع مبنى فوق ربوة تعلو قليلاً عن أرضية هرم خوفو. وحقيقة الأمر أن هرم خفرع يقل فى الأصل بنحو عشرة أقدام [نحو ثلاثة أمتار] عن هرم خوفو. ولكن بعد مرور الزمن وتساقط الكثير من أحجار الهرمين ، فإنه فى حالته الراهنة يقل فى الارتفاع عن هرم خوفو بنحو قدمين ونصف [نحو ٧٧ سم] .
● تصوير: بيتر كلايتون .

يفترض دنهام أنهم قاموا ببناء أربعة طرق من ركام الدبش وقوالب الطين. وكانت هذه الطرق الأربعة صاعدة بميل إلى أعلى وبزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم. وكانت هذه الطرق الصاعدة ترتفع وتعلو كلما ارتفع بناء الهرم طبقة بعد طبقة أو مدماكاً بعد مدماك و إلى أن يتم بناء قمة الهرم، ثم يتم صقل أحجار الكسوة الخارجية من أعلى إلى أسفل، وتزال اثناء ذلك كل بقايا الطرق الصاعدة الأربعة من كل واجهة من واجهات الهرم.

وكانت ثلاثة فقط من تلك الطرق الصاعدة تستخدم فى عمليات جر وسحب الأحجار إلى أعلى، أما الطريق الرابع فقد كان مخصصاً لنزول العمال والزلاّجات الفارغة التى كانوا يستخدمونها فى نقل الأحجار [الصورة ٧٨] .

وطبقاً للحسابات التى أجراها دنهام فقد استنتج أن ألفين وخمسمائة عامل فقط كانوا يكفون لأداء العمل بالكفاءة المطلوبة، وأن فى المراحل النهائية للبناء كان عدد هؤلاء العمال يتناقص عن هذا الرقم إلى حد كبير. هذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى عدد كبير من العمال الآخرين كانوا يعملون فى المحاجر لقطع الأحجار ويقومون بعمليات نقل هذه الأحجار من المحاجر إلى موقع البناء. كما يرى دنهام أن عدد العمال الذين ذكرهم هيرودوت [مائة ألف عامل] نقلاً عن الأدلاّء الذين قابلوه يعتبر شكلاً من أشكال المبالغات الكبرى.

ويذكر العالم «بترى» نظرية أخرى مؤداها أن العمال الذين استخدموا فى بناء الهرم كانوا من فريقين مختلفين: الفريق الأول من العمال المهرة الذين كانوا

يعملون فى تقطيع كتل الأحجار من المحاجر ويقومون بتسوية وتهذيب أسطحها، بالإضافة إلى عمال البناء. ومن المحتمل أن هذا الفريق كان يعمل بصفة مستمرة طوال العام. أما الفريق الثانى فيتكون من العمال الذين كانوا يستخدمون فى عمليات جر وسحب ونقل الأحجار إلى موقع البناء، وأغلبهم كانوا من الفلاحين الذين كانوا يتعطلون عن العمل أثناء موسم الفيضان. ولذلك فقد كان هذا الفريق يعمل بصفة موسمية.

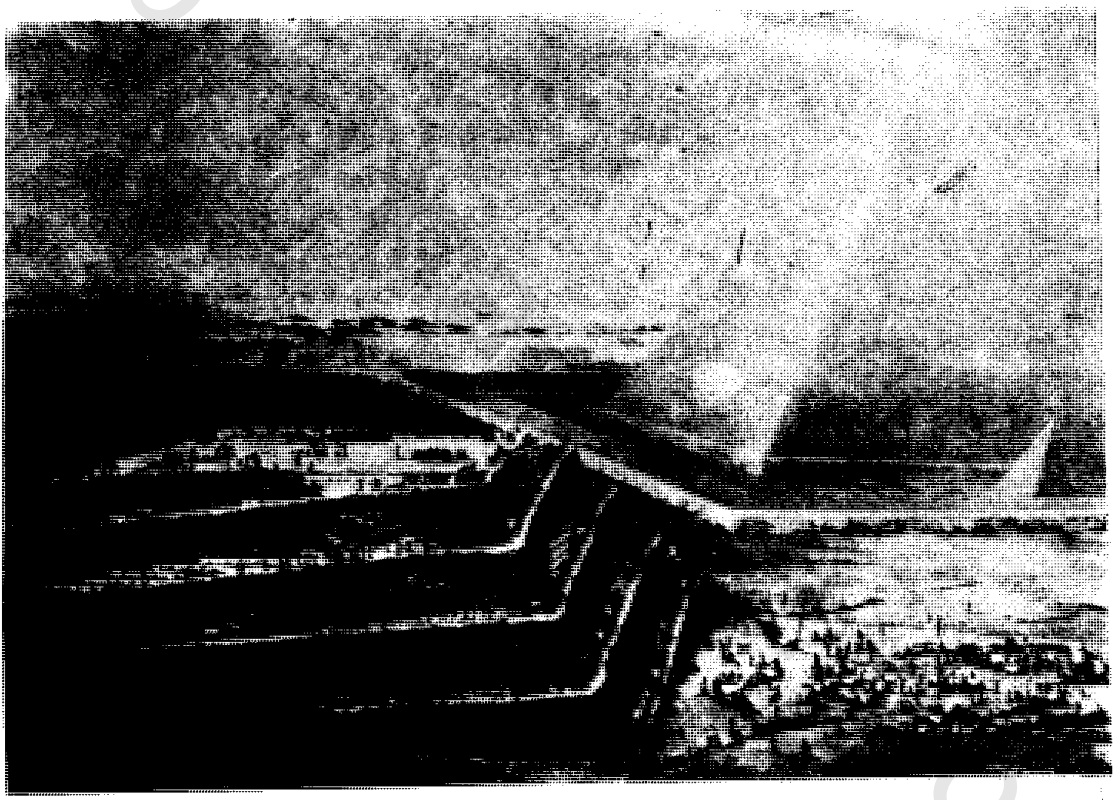

الصورة (٧٨)

(٧٨)

لم تعرف على نحو قاطع حتى الآن الطريقة الحقيقية التى بنيت بها الأهرام. ولكن أكثر هذه الطرق قبولاً هى الطريقة المبينة فى هذا الرسم والتى تبين طريقة بناء هرم منكاورع. فقد بنيت من الدبش وقوالب الطين أربعة طرق صاعدة مائلة إلى أعلى بزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم. وكانت هذه الطرق الصاعدة ترتفع كلما ارتفع بناء الهرم إلى أن يتم بناء القمة. ويتم بعدئذ صقل أحجار الكسوة الخارجية من أعلى إلى أسفل وتزال أثناء ذلك كل بقايا الطرق الصاعدة من كافة واجهات الهرم.

• الرسم عن متحف العلوم ببوسطن.

الصورة (٧٩)
رسم من كتاب «وصف مصر» يبين مدى ارتفاع «البهو الأعظم» بداخل الهرم الأكبر. ويرتفع سقف هذا البهو إلى ثمانية وعشرين قدماً [نحو ٨,٤٥ متراً]. وفى نهاية أرضية هذا البهو تم تخزين كتل الجرانيت الضخمة التى استخدمت فى اغلاقه بعد الانتهاء من عملية دفن الملك. ثم تسلل الرجال الذين قاموا بالإجراءات الأخيرة من عملية الدفن عبر ممر ضيق يبدأ من قاعدة البهو الأعظم ويؤدى إلى الممر الهابط الذى يصل إلى الغرفة السفلية، وعبر هذا الممر تمكنوا من العودة إلى خارج الهرم [انظر الصورة ٧٦ الشكل «و»].

• الرسم منقول من كتاب «وصف مصر» الذى صدر بباريس سنة ١٨٢٢م.

وقد قام «بترى» بإجراء العديد من الدراسات والقياسات على الهرم الأكبر، واكتشف حقيقة مؤداها أن تابوت الملك المصنوع من حجر الجرانيت والموجود حالياً بدون غطاء فى حجرة الدفن، يزيد عرضه بمقدار بوصة واحدة عن عرض الممر الصاعد الذى يعتبر الممر الوحيد المؤدى إلى حجرة الدفن. وعلى ذلك فقد استنتج بترى أن التابوت وضع فى موضعه على الجانب الغربى من حجرة الدفن أثناء عمليات بناء الهرم وقبل بناء جدران وسقف حجرة الدفن، ومن المحتمل بناءً على ذلك أن مومياء الملك قد وضعت بعد تحنيطها فى تابوت خشبى مناسب، وتم وضع هذا التابوت الخشبى بداخل التابوت الجرانيتى عند دفن الملك وقبل غلق الهرم [الصورة ٨٢]. (٧٩)

وبعد اتمام بناء الهرم أحيط بسور يدور حول جوانبه الأربعة (١٧). وكان يضم المبانى الصغيرة الملحقة بالهرم وأهمها المعبد الجنائزى الذى كان يقع فى الجانب الشرقى من الهرم والذى كان يتصل بمعبد الوادى الذى يقع على شاطىء النيل بواسطة طريق صاعد.

وكان من المعتاد فى عصر الدولة القديمة أن يتم دفن مراكب جنائزية جوار المقابر. وقد تم العثور على بعض الحفرات الفارغة التى حفرت على شكل مراكب بجوار الهرم الأكبر وبعض مصاطب الملكات بنفس المنطقة [الصورة ٨١]. وقد عثر العالم «إيمرى» على حفرة مماثلة بجوار مصطبة دفن الملك «دِجِتْ» [من عصر الأسرة الأولى].

وفى سنة ١٩٥٤، أثناء ازالة ركام من الانقاض التى كانت موجودة عند الجانب الجنوبى للهرم الأكبر بغرض تعبيد طريق فى تلك المنطقة، تم العثور على حفرة مغلقة ومغطاة بكتل من الحجر الجيرى تعلوها طبقة سميكة من المونة [الصورة ٨٣]. وعندما فتحت تلك الحفرة عثر بداخلها على مركب كبير مفكك إلى أجزاء ومصنوع من خشب الأرز(١٨). وكان المركب فى حالة سليمة لأن الحفرة التى دفن فيها كانت محكمة ضد تسرب الهواء. ويعتبر هذا المركب أكبر وأقدم مركب عثر عليه حتى الآن. وقبل العثور عليه كانت أقدم نماذج المراكب الأثرية هى المراكب الثلاث التى عثر عليها سابقاً فى منطقة دهشور والتى يعود تاريخها إلى عصر الأسرة الثانية عشرة.

وقد تم تفكيك مركب خوفو قبل دفنه فى تلك الحفرة التى لايزيد طولها عن ٩٣ قدماً، فى حين أن طول المركب بعد أن تم تركيبه يصل إلى نحو

---

(١٧) دلت الشواهد الأثرية على أن هرم خوفو كان محاطاً بسور مازالت آثاره باقية حتى الآن. وكان هذا السور يتوازى مع أضلاع الهرم الشمالية والجنوبية والغربية. ويبعد هذا السور عن الضلع الشمالى بمسافة ٢٣,٦٠ متراً، وعن الضلع الجنوبى بمسافة ١٨,٥ متراً، وعن الضلع الغربى بمسافة ٢٣,٦٠ متراً [المترجم].

(١٨) يبلغ طول الحفرة ٣١ متراً وعرضها ٢,٦٠ متراً وعمقها ٣,٥٠ متراً. وكانت تغطيها ٤١ كتلة حجرية يبلغ متوسط وزن الكتلة الواحدة نحو ١٨ طنا ويبلغ متوسط طول كل كتلة ٤,٥٠ متراً وعرضها ١,٨٠ متراً وسمكها ٨٥,٠ متراً [المترجم].

١٤٣ قدماً (١٩). وثمة كابينة على سطح هذا المركب تقع جهة المؤخرة. وهى مسقوفة بسقف محمول على أعمدة تشبه سيقان النخيل. ويتميز المركب بارتفاع كل من عمودى المقدمة والمؤخرة. وتوجد على سطح المركب الكثير من المعدات كالمجاديف والدفة ولفّات الحبال والأعمدة التى تحمل غطاء الظُّلَّة الذى تفصله عن جدران الكابينة مسافة قصيرة كان من المفروض أن يتخللها الهواء فتؤدى دور تكييف الهواء بهذه الطريقة البدائية المبسطة.

وعثر ضمن أجزاء المركب على عدد صغير من الأجزاء المعدنية التى استخدمت فى ربط وتثبيت بعض الأجزاء ببعضها الآخر. ولكن معظم الأجزاء الخشبية للمركب كانت تثبت ببعضها عن طريق استخدام الدسر أو الألسنة الخشبية أو تربط ببعضها بالحبال (٢٠).

هذا وهناك حفرة ثانية تقع على بعد أمتار قليلة غربى الحفرة الأولى. ومن المحتمل وجود مركب آخر مدفون بتلك الحفرة التى لم تفتح بعد (٢١).

ولعل السبب فى أن الأجزاء الخشبية لمركب خوفو قد وجدت مدفونة بحالة سليمة بداخل الحفرة، هو أن الحفرة نفسها كان لها افريزان على جانبيها، وقد ارتكزت

---

(١٩) بعد تركيب المركب وصل طوله إلى ٤٣,٤٠ متراً وأقصى عرضه ٥,٩ متراً وأقصى ارتفاع لمقدمته ٦ أمتار وترتفع مؤخرته إلى ٧,٥ متراً وعمق غاطسه ١,٧٨ متراً. ولمن يريد التعرف على المزيد من تفاصيل التوثيق العلمى للمركب، يُرجى الرجوع إلى كتاب المترجم «مراكب خوفو ــ حقائق لا أكاذيب» من اصدار الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٨٩.

(٢٠) كان المركب مفككا إلى ٦٥٠ جزءاً تتكون من ١٢٢٤ قطعة من أخشاب الأرز وبعض أنواع الأخشاب الأخرى. ويبلغ متوسط طول القطع الكبيرة نحو ٢٣ متراً. ويصل وزن القطعة الواحدة منها نحو ٢,٥ طنا، كما أن هناك قطعاً أخرى لا يزيد طولها عن ١٠ سم. وكانت جميع هذه القطع والاجزاء مرصوصة ومرتبة بدقة وعناية شديدة بداخل الحفرة [المترجم].

(٢١) خلال شهر أكتوبر ١٩٨٧ قامت نخبة من العلماء المصريين والأمريكيين باجراء تجربة فريدة استخدمت فيها تكنولوجيا الفضاء والاستشعار عن بعد للتعرف على محتويات هذه الحفرة الثانية ودراسة بيئتها الداخلية دون احداث أى تأثير خارجى على تلك المحتويات وتلك البيئة. وقد أسفرت التجربة عن التأكيد على وجود مركب آخر من مراكب خوفو، وجد مفككا بنفس الحالة التى كان عليها المركب الأول. وقد تم تصوير هذا المركب الثانى تليفزيونيا وفوتوجرافيا كما أخذت عينات من هواء الحفرة تم تحليلها. [المترجم].

(٨٠)

الصورة (٨٠)

تفصيل من تمثال الوزير حِمْ إيُونُو [٢٥٨٠ ق م] وزير الملك خوفو. وهو المهندس الذى يحتمل أن يكون قد وضع تصميم الهرم الأكبر وأشرف على بنائه ويبين التمثال قوة شخصيته. والتمثال منحوت من الحجر الجيرى وغير ملون ووجدت عليه كتابة ملونة وقد قام لصوص المقابر فى الأزمنة القديمة بقلع العينين الأصليتين للتمثال، لذلك فقد تم ترميمه وعمل عينين حديثتين من الجص.

● محفوظ بمتحف بليتسبوس. تصوير: فهمير.

الصورة (٨١)

مجموعة من المصاطب والحفرات التى استخدمت فى دفن المراكب تقع فى الناحية الشرقية من الهرم الأكبر بالجيزة. وقد تم تصميم هذه الحفرات على شكل مراكب. وحتى يمكن معرفة الحجم الحقيقى لهذه الحفرات، يمكن مقارنتها بحجم راكب الجمل الذى يسير على الطريق المجاور للجانب الشرقى للهرم.

● تصوير: بيتر كلايتون.

(٨١)

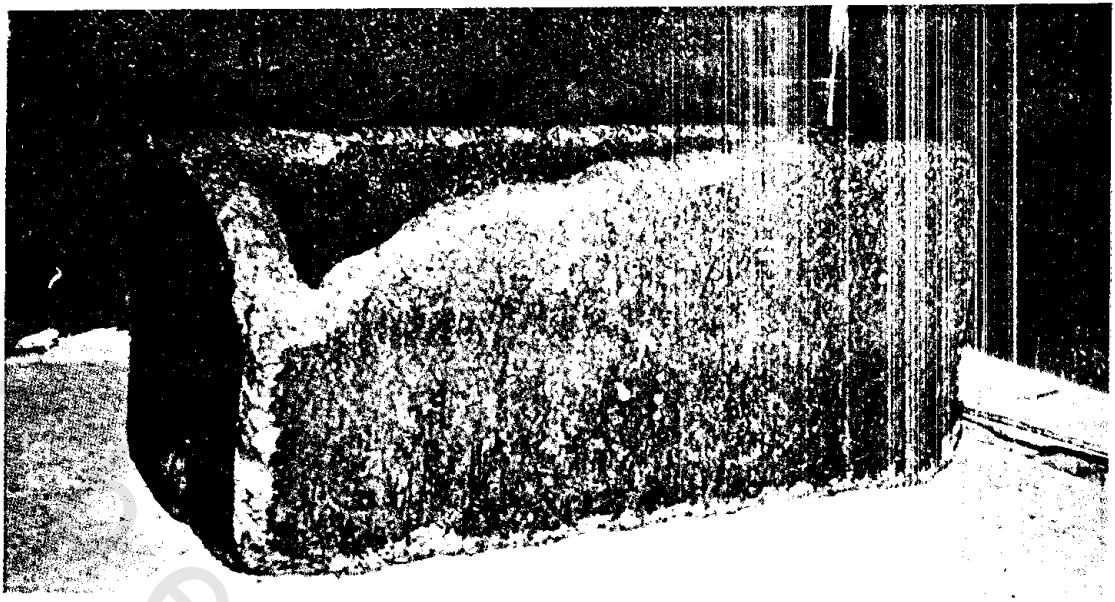

(٨٢)

الصورة (٨٢)

التابوت الفارغ الذى صنع من الجرانيت الأسود والذى عثر عليه بالجانب الغربى من غرفة دفن الملك التى تقع بقلب الهرم الأكبر [انظر الصورة ٧٦ شكل «و»]. ويلاحظ وجود كسر بأحد جوانب التابوت، كما لم يتم العثور على الغطاء الذى كان يغطيه. والتابوت فى مجمله ذو مظهر خشن، وما زالت ترى حتى الآن آثار المناشير التى استخدمت فى نشر الحجر.

• تصوير: بيتر كلايتون.

الصورة (٨٣)

صورة التقطت من قمة الهرم الأكبر للناحية الجنوبية للهرم حيث أقيم مأوى لحماية المركب الذى عثر عليه [سنة ١٩٥٤م] مدفوناً فى باطن الأرض داخل حفرة مستطيلة الشكل، ولا تأخذ شكل المراكب مثل الحفرات الأخرى التى عثر عليها بالجانب الشرقى للهرم [انظر الصورة ٨١]. ويرى فى الصورة طرفاً من المأوى الذى خزنت فيه «انجاديل» أو الكتل الحجرية الضخمة التى استخدمت فى تسقيف وغلق حفرة المركب وجعلها محكمة ضد تسرب الهواء ممّا أدى إلى حفظ وصيانة أجزاء المركب عبر آلاف السنين. وعلى يمين المأوى نرى جزءاً من غطاء الحفرة الثانية التى يحتمل أن يكون مدفوناً فيها مركب آخر [راجع هامش رقم ٢١ بالفصل السادس].

• تصوير: بيتر كلايتون.

(٨٣)

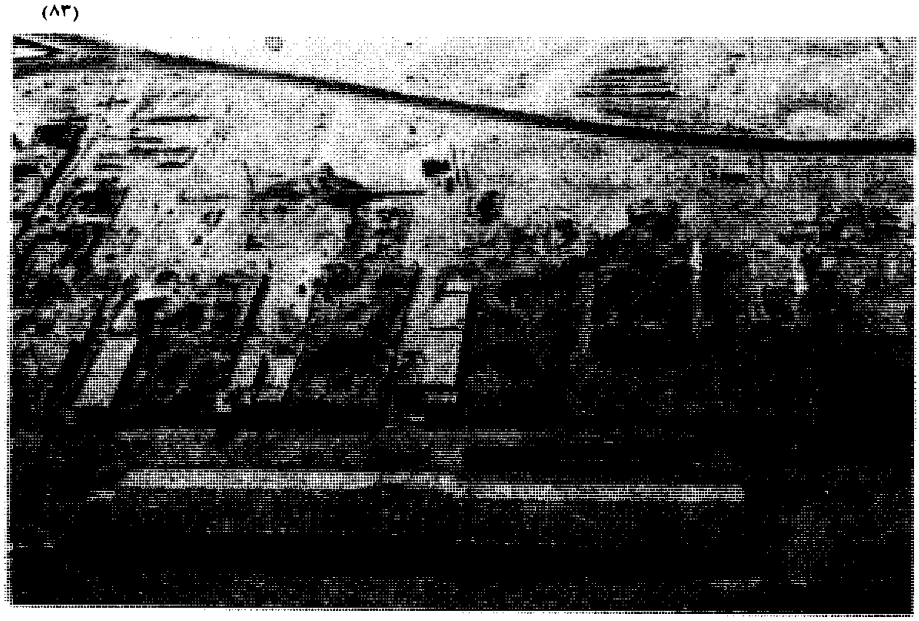

على هذين الافريزين مجموعة من المجاديل أو الكتل الحجرية الضخمة يصل عددها إلى ٤١ كتلة، وتزن كل واحدة منها نحو ١٦ طناً، كما أن الحفرة نفسها كانت على شكل مستطيل، وهو شكل يختلف عن شكل الحفرات المماثلة التى وجدت بالقرب من الهرم الأكبر، والتى صممت فى الأصل على شكل مراكب. وهذا الشكل المستطيل لحفرة مركب خوفو جعل من السهل اغلاقها واحكامها بالمجاديل الحجرية الضخمة والمونة التى جعلتها محكمة ضد تسرب الهواء أو دخوله.

ومن المؤكد أن الملك «جِدِدِفْ رَعْ» (٢٢) الذى تولى الحكم بعد أبيه الملك خوفو هو الذى أشرف على دفن هذا المركب، لأن اسمه هو الاسم الملكى الوحيد الذى وجد مكتوباً على الكتل الحجرية ضمن الكتابات والعلامات التى نقشها عمال المحاجر(٢٣) [الصورة ١١٥].

وقد ثار جدل حول تصنيف مركب خوفو من ناحية الوظيفة التى كان يؤديها، فقد ادعى البعض أنه من «مراكب الشمس» وقرر آخرون أنه مركب عادى كان

---

(٢٢) كان بعض علماء التاريخ المصرى القديم يعتبرون الملك «جِدِدِفْ رَعْ» من أواخر ملوك الأسرة الرابعة. ولكن بعد الكشف عن وجود اسمه مكتوباً على المجاديل الحجرية التى غطيت بها حفرة دفن مركب خوفو حسمت القضية نهائيا على أساس أن «جددف رع» تولى عرش مصر بعد وفاة أبيه الملك خوفو مباشرة. ومن المعروف أن خوفو قد تزوج من عدة نساء، الأمر الذى أدى إلى حدوث منافسات ومنازعات بين أولاده من زوجاته المتعددات على أحقية تولى العرش. ويبدو أن جددف رع لم يكن من حقه تولى العرش باعتباره ابنا لملكة ليبية الأصل ولا يجرى فى عروقها الدم الملكى، ويبدو هذا جلياً فى اختلاف ملامح وجه جددف رع عن ملامح ملوك الأسرة الرابعة. وتدل الشواهد على استمرار هذه المنازعات الأسرية فى عهد الملك خفرع بعد إزاحة جددف رع عن العرش، حيث واصل ابنه «باكارع» منازعاته مع عمه الملك خفرع لعدة أعوام. وقد أقام جددف رع هرماً له فى منطقة «أبو رواش» التى تبعد نحو ٧ كيلو مترات شمال هرم خوفو. وقد تعرض هذا الهرم إلى تخريب شديد، وظل يستخدم كمحجر لأهالى المنطقة لدرجة أن عالم المصريات فلندرز بترى ذكر أن الناس فى القرن الماضى [التاسع عشر] كانوا يأخذون من أحجاره يومياً حمولة ٣٠٠ جمل [المترجم].

(٢٣) وجدت علامات حمراء كتبها عمال المحجر على أسطح الكتل الحجرية الضخمة التى غطيت بها حفرة المركب. ولوحظ وجود ١٨ خرطوشاً تحمل إسم الملك «جددف رع» بين هذه العلامات، وهذا ما أكد بصفة نهائية أنه هو الذى تولى العرش بعد وفاة أبيه الملك خوفو [المترجم].

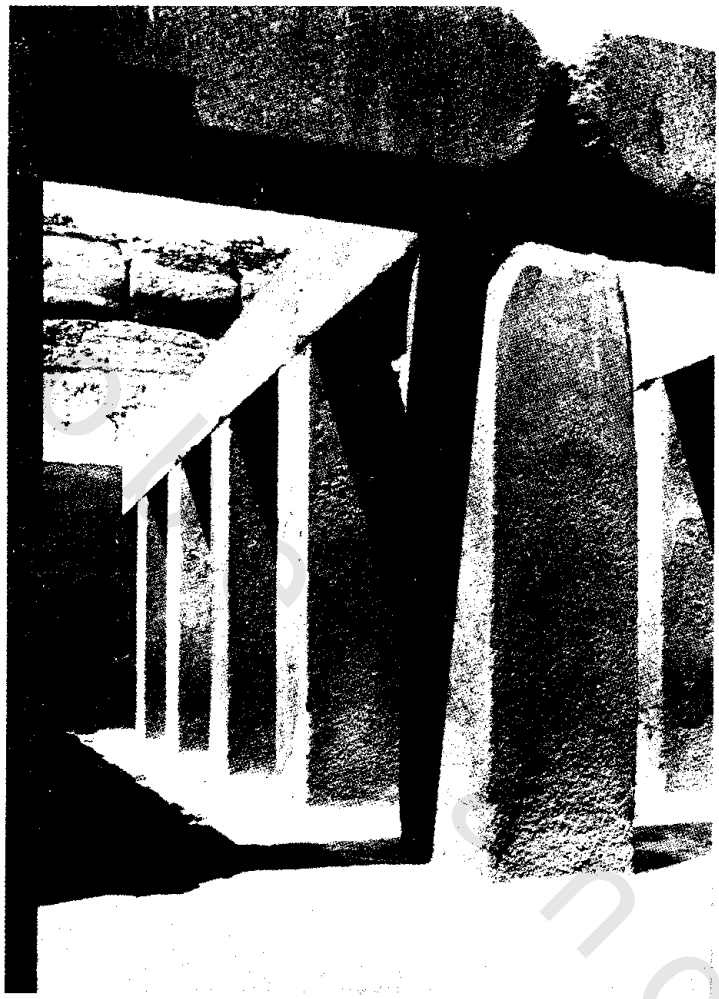

الصورة (٨٤)
منظر من داخل معبد الوادى الخاص بهرم خفرع . وقد بنى هذا المعبد من كتل ضخمة من الحجر الجيرى وحجر الجرانيت الوردى الأحمر المصقول . وفى هذا البهو المستطيل للمعبد ، كان هناك ٢٣ تمثالاً للملك خفرع نحتت من الألبستر وحجر الشيست الرمادى وحجر الديوريت الأخضر . وقد عثر ما ريت على أحد هذه التماثيل مدفوناً بحفرة داخل المعبد وكانت معه بعض الأجزاء المكسورة من التماثيل الأخرى . [انظر الصورة ١٠٩] . ومن المعتقد أن عملية تحنيط الملك قد تمت فى مقصورة علوية بداخل المعبد ، ثم تم غسلها وتطهيرها بحجرة انتظار مجاورة وذلك قبل نقلها بالموكب الجنائزى الذى اخترق الطريق الجنائزى الصاعد المسقوف الذى يؤدى إلى المعبد الجنائزى المجاور للهرم ، إلى أن تم دفنها نهائياً بغرفة الدفن بداخل الهرم .
• الصورة بإذن خاص من معهد جريفيث . بمتحف أشمولين بأكسفورد .

يستعمل لأغراض دنيوية . ونحن نرجح هذا الرأى الأخير، ونرجح أيضاً احتمال أنه [٨٤] قد استخدم فى الموكب الجنائزى للملك خوفو أثناء الاحتفال بدفنه (٢٤) .

ولعل من أفضل مبانى الدولة القديمة التى ظلت محتفظة بقدر كبير من سلامتها ، معبد الوادى الخاص بهرم الملك «خفرع» (٢٥) وهو أحد خلفاء الملك

---

(٢٤) راجع كتاب «مراكب خوفو.. حقائق لا أكاذيب» حيث اثبتنا جميع نظريات علماء التاريخ والآثار المصرية الذين أثبتوا بالأدلة القاطعة عدم وجود أية علاقة بين مركب خوفو ومراكب الشمس [المترجم] .

(٢٥) اتسم عهده بالمنازعات الأسرية التى نشبت بينه وبين أولاد الملك «جددف رع» . ومع ذلك فقد استطاع إقامة هرمه الذى يضارع هرم أبيه الملك خوفو فى عظمته وإن كان أقل منه حجماً . وكانت قاعدة الهرم من جهاتها الأربعة مكسوة بمداكين من الجرانيت الوردى . وفى المعبد الجنائزى للهرم عثر على كسرات وبقايا أكثر من ٢٠٠ تمثال للملك خفرع وكانت كلها مهشمة=

خوفو. وقد بنى هذا المعبد الرائع بكتل ضخمة من الحجر الجيرى المحلى وأحجار الجرانيت الوردية المصقولة. ومن المحتمل أن فكرة بناء معابد الوادى هى محاكاة بالحجر لتلك الشوادر الخفيفة التى كانت تقام بالحصير ليجرى بداخلها اعداد مومياوات الملوك السابقين للدفن بعد تغسيلها وتطهيرها وتعطيرها وتحنيطها. وكانت مثل هذه الشوادر تقام بالقرب من شاطىء النيل، وذلك لصرف المياه والسوائل التى استخدمت فى هذه العمليات إلى مجرى النيل كنوع من زيادة الخصوبة والبركة فى أرض مصر.

وفى بهو معبد الوادى الخاص بهرم خفرع والذى صمم على شكل حرف «T» [الصورة ٨٤] أجريت المراسم الجنائزية النهائية لمومياء الملك قبل تشييعها فى موكب رهيب مرّ خلال الطريق الصاعد المسقوف الذى يصل ما بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى المقام بجوار الهرم.

ويعتبر هذا البهو من أروع الأعمال المعمارية التى خلفها لنا مهندسو الدولة القديمة، بسقفه المشيد بكتل الجرانيت الضخمة، واعمدته ذات الجوانب المربعة الخالية من الزينة أو النقوش والمشيدة أيضاً من كتل ضخمة من الجرانيت الوردى. وقرب السقف كانت هناك فتحات مائلة فى أعلى الجدران، يتسرب منها ضوء الشمس لينعكس بدوره على الأرضية المصنوعة من المرمر المصقول، فيوزع النور الباهر على تماثيل الملك الثلاثة والعشرين التى كانت مقامة على مسافات متقاربة بجوار الجدران [الصورة ١٠٩].

ويعتبر هذا المعبد تجسيداً بالحجر للمفهوم العقائدى الذى ساد فى الدولة القديمة، فقد تم تصميمه هندسياً وتنفيذه معمارياً بنفس الروح البسيطة الصلبة التى أوحت بتصميم وتنفيذ أهرام الجيزة بكل ما تتضمنه من دقة وسلامة وكمال. تلك الروح التى تعاملت بلا تردد مع أقسى أنواع الحجر، من البازلت والجرانيت والديوريت والمرمر والحجر الجيرى.

= تهشيماً شديداً. وكان الارتفاع الأصلى لهرم خفرع ١٤٢,٥٠ متراً، وطول كل ضلع من أضلاعه ٢١٥,٥٠ متراً، وزاوية ميله ٥٣ درجة و١٠ دقائق. وظل مدخل الهرم مدفوناً تحت أكوام الردم لعصور طويلة حتى عثر عليه الإيطالى چيوڤانى بلزونى سنة ١٨١٨م [المترجم].

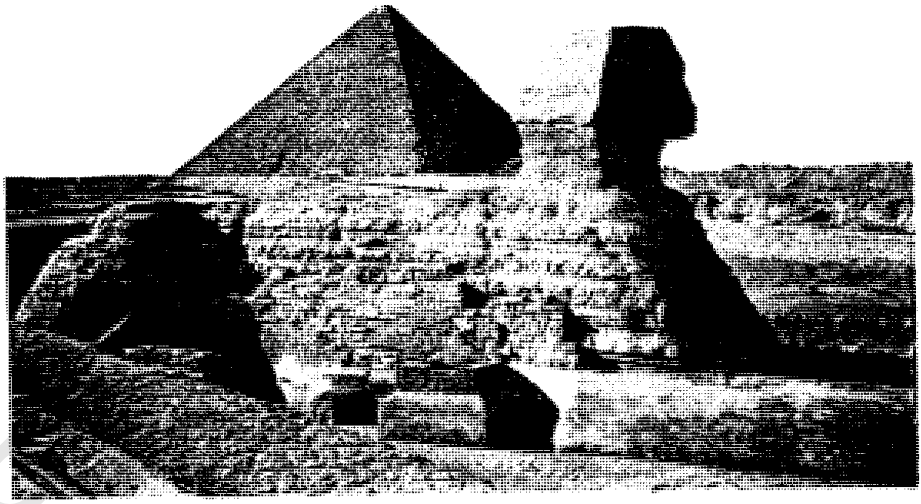

(٨٥)

الصورة (٨٥)

هرم خوفو [٢٥٧٥ ق م] كما يبدو من الناحية الجنوبية الشرقية. وفى مقدمة الصورة نرى تمثال أبوالهول الذى نحت فيما بعد من كتلة ضخمة من الحجر الجيرى تبقت بعد قطع الأحجار المحلية التى استخدمت فى بناء هرم خفرع.

• تصوير: بيتر كلاينون.

الصورة (٨٦)

الأعمدة الخشبية التى كانت تكوّن خيمة السفر الخاصة بالملكة « حِتِبْ حِرس » [٢٥٨٠ ق م]. وجميع هذه الأعمدة مغطاة بصفائح الذهب. ومن المعتقد أنها كانت تكسى من الخارج بستائر من الكتان الرقيق لحماية الملكة من الناموس. ونرى أيضاً سرير الملكة وعليه مسند الرأس. كما نرى الكرسى المذهب والصندوق المذهب الخاص بحفظ الستائر.

• محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة. والصورة بإذن خاص من متحف الفنون الجميلة ببوسطن.

(٨٦)

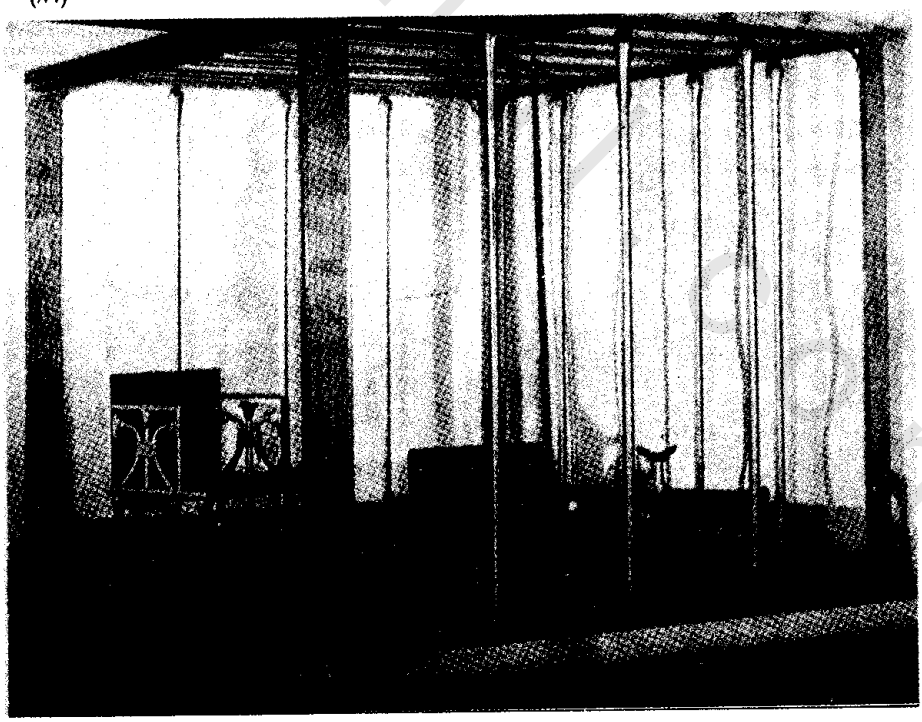

وكانت المجموعات الهرمية بالجيزة تتضمن ــ ولا شك فى ذلك ــ أعمالاً فنية مبهرة من التماثيل والنحت البارز والأثاث وغير ذلك من الأعمال التى انتجها الموهوبون من فنانى وحرفيى مصر القديمة فى ذلك الزمن [الصورتان ٧٧، ٨٥].

ومن حسن الحظ فقد وصل إلينا نموذج من هذا الانتاج الفنى الرفيع متمثلاً فى قطع الأثاث الرائعة الخاصة بالملكة «حِتِبْ حِرِسْ» أم الملك خوفو. ففى عام ١٩٢٥ عثر عالم المصريات جورج رايزنر على غرفة دفن صغيرة تقع أسفل بئر يصل عمقه إلى ٩٩ قدماً [حوالى ٣٠متراً] فى مكان مجاور للهرم الأكبر بالجيزة. وكانت هذه المقبرة هى الوحيدة التى وصلت سليمة إلينا من مقابر الدولة القديمة [الصورتان ٨٦، ٨٧].

ودلت الشواهد على أن هذه الدفنة كانت فى حقيقة الأمر عملية «إعادة دفن». وبالرغم من أن عدة نظريات قد قيلت فى تبرير ذلك، إلا اننا نرجح النظرية التى قال بها رايزنر، وهى أن الملكة حِتِبْ حِرِسْ قد دفنت فى الأصل فى إحدى المصاطب بالقرب من هرم زوجها الملك سنفرو بدهشور.

وقد عثر رايزنر بغرفة الدفن التى وجدها بأسفل البئر على الأثاث الجنائزى الخاص بالملكة وعلى تابوتها المصنوع من المرمر وعلى الأوانى الكانوبية المخصصة

الصورة (٨٧)

المقعد المتنقل الذى كان يستخدم لحمل الملكة حتب حرس بعد ترميمه واعادة تركيبه. والأجزاء الخشبية وحدها أجزاء حديثة الصنع، أما زخارف الذهب فكلها زخارف أصلية. وعلى ظهر المقعد كتب بالذهب اسم الملكة وألقابها.

• محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. تصوير: بيتر كلايتون.

(٨٧)

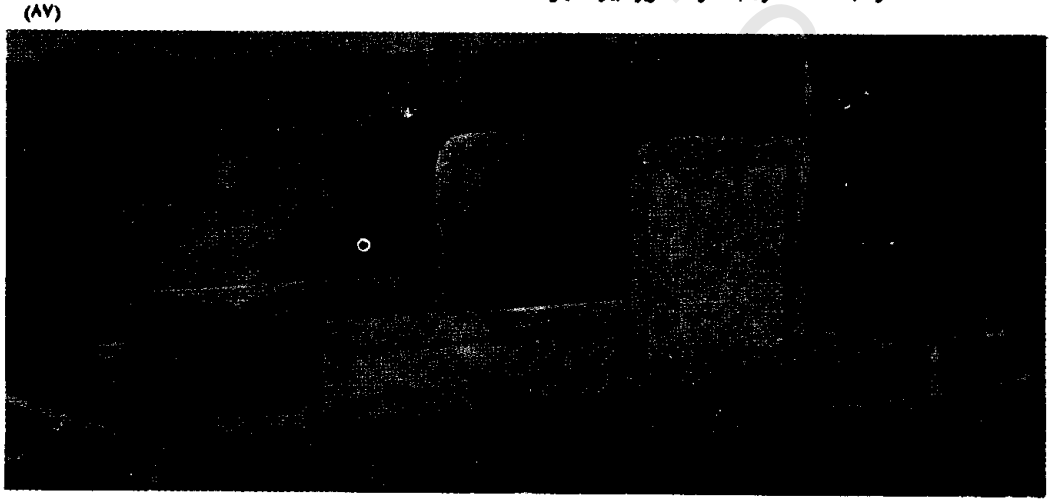

لحفظ الأحشاء الداخلية لجثمانها. ولكن التابوت وجد خالياً من المومياء فى حين ظلت الأحشاء الداخلية محفوظة بداخل الأوانى الكانونية. وكان ذلك فى حد ذاته على درجة كبيرة من الأهمية فى دراسة تاريخ التحنيط فى مصر القديمة حيث كانت هذه الأحشاء أقدم نموذج يؤكد لنا طريقة التحنيط التى اتبعت فى مصر القديمة، والتى كانت تتم بعد نزع واستخراج جميع الأحشاء الداخلية لجثمان المتوفى وحفظها فى أوعية خاصة.

ويفترض رايزنر أن الملكة حتب حرس قد دفنت أصلاً فى مصطبة بدهشور. ولكن حدث بعد دفنها مباشرة أن اقتحم لصوص المقابر هذه المصطبة ودمروا مومياء الملكة لكى يحصلوا على الحلى والجواهر الثمينة التى كانت تتزين بها. ومن المحتمل أن الملك خوفو قد أبلغ بأمر هذا الاقتحام الذى حدث لمقبرة والدته، دون أن يبلَّغ بأمر سرقة مومياتها، لذلك فقد أمر خوفو بإعادة دفن والدته ونقل جميع الأثاث الجنائزى الخاص بها فى تلك المقبرة السرية بأسفل البئر المجاور لهرمه بالجيزة ليكفل لها المزيد من الأمان فى هذه المنطقة بجواره.

وبفحص هذا الأثاث الجنائزى تبين لنا أن بعض قطع هذا الأثاث كانت مستعملة أثناء حياة الملكة. ولكن أغلب القطع الأخرى قد صنعت خصيصاً لخدمة الملكة خلال رحلتها فى العالم الآخر. ويتضمن الأثاث مجموعة الأوانى والزهريات المصنوعة من الذهب والنحاس والمرمر، وسكاكين مصنوعة من الذهب، وحلى للأصابع مصنوعة من الذهب، وأدوات نحاسية أخرى.

وفوق التابوت المرمرى عثر على «ظلّة» مفككة مصنوعة من الخشب المغطى بصفائح الذهب. ومن المحتمل أن هذه «الظلة» كانت غير مفكوكة حين دفنت مع الملكة فى مقبرتها الأصلية بدهشور، ولكنها فككت حتى لا تشغل حيزاً كبيراً فى حجرة الدفن الصغيرة بأسفل البئر المجاور للهرم الأكبر.

وعثر كذلك على سرير الملكة وعلى كرسيين بمساند، ومزينين جزئيا بصفائح رقيقة من الذهب، كما وجدت محفة الملكة وعليها كتابات هيروجليفية مكتوبة بالذهب على خشب الأبنوس، وتدل على إسم الملكة وألقابها وهى: «أم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى. المؤمنة بحورس. المشرفة على شئون الحريم. ذات الأمر المطاع. إبنة الإله من صلبه. حِتِبْ حِرِسْ».

وجميع هذه القطع الرائعة ذات التصميم الذى يدل على ذوق رفيع، يتمثل فى طراز الكراسى والصناديق والظلة والسرير والمحفة، وكيفية تزيين هذه التحف كلها بصفائح الذهب والجواهر ذات الألوان المختلفة من الفيانس والعقيق الأحمر تعكس مدى الثراء الوافر، وتعكس فى الوقت نفسه احساساً بالبساطة المتناهية التى تميز بها بهاء وروعة الأعمال الفنية فى عصر الدولة القديمة بأكمله.

■ العمارة فى أواخر عصر الدولة القديمة

كان من الواضح أن الموارد المالية والبشرية، والجهود الجبارة التى بذلت فى بناء أهرام الجيزة، أصبحت أمراً غير مرغوب فيه، بل وخارجة تماماً عن استطاعة وإمكانيات الملوك الذين حكموا مصر بعد انتهاء عصر الأسرة الرابعة. وحتى فى أواخر عصر تلك الأسرة نلاحظ أن الهرم الذى أقامه «مِنْكَاوْرَعْ» (٢٦) أصبح أقل حجماً بنسبة كبيرة إذا قورن بهرمى سلفيه خفرع وخوفو(٢٧) [الصور ٧٧، ٨٨، ٨٩].

أما الملوك الذين حكموا مصر خلفاء لملوك الأسرة الرابعة، فقد شيدوا أهرامهم فى منطقتى أبوصير وسقارة، وتخلوا تماماً عن استخدام نسب الضخامة التى استخدمت فى بناء تلك المنشآت الحجرية الهائلة فى منطقة الجيزة [الصورة ٩٠].

---

(٢٦) من المحتمل أنه ابن الملك خفرع. وقد وضع تصميم هرمه على أن تكون كسوته الخارجية كلها من الجرانيت الوردى بدلاً من الحجر الجيرى المستجلب من طرة الذى استخدم فى كسوة هرمى خوفو وخفرع. ولكن كسوة الهرم كاملاً بالجرانيت لم تكتمل فى عهده، ولم تبلغ سوى ١٦ مدماكاً فقط أى نحو ثلث ارتفاع الهرم. وقد وجد تابوته الرائع المصنوع من حجر البازلت، وتم شحنه إلى انجلترا، ولكن السفينة التى نقلته غرقت أثناء رحلتها البحرية فى ١٩٣٨/١٠/١٢م. وفى العصور التالية على عصره عرف «منكاورع» بأنه الرجل التقى، وقُدّس واعتبر حكيماً فى عصر الرعامسة [المترجم].

(٢٧) يبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدة هرم خوفو نحو ٧٥٦ قدماً [نحو ٢٣٠ متراً] وطول ضلع قاعدة هرم خفرع نحو ٧٠٨ قدماً [نحو ٢١٥,٨ متراً] وطول ضلع قاعدة هرم منكاورع نحو ٣٥٦ قدماً [نحو ١٠٨,٥ متراً] [المترجم].

الصورة (٨٨)
كان هرم منكاورع هو الهرم الوحيد من أهرام الجيزة الذى يحتوى على تابوت مزخرف . فقد كان تابوت كل من خوفو وخفرع خالياً من أية زخرفة . وهذا رسم قديم يبين موضع تابوت الملك منكاورع فى مكانه بغرفة الدفن بداخل هرمه عندما اكتشفه الكولونيل قايس فى القرن الماضى .

• الرسم مأخوذ عن كتاب « عمليات الكشف التى أجريت بأهرام الجيزة » من تأليف قايس وبرينج ـ لندن ١٨٤٠م .

(٨٨)

الصورة (٨٩)
رسم لتابوت الملك منكاورع المنحوت من حجر البازلت وقد زخرفت واجهاته الخارجية بنحتها على شكل أعمدة تزين مدخل القصر . ومن سوء الحظ فقد غرق هذا التابوت أثناء نقله إلى انجلترا على سفينة غرقت فى خليج بسكاى .

• الرسم منقول عن قايس وبرينج .

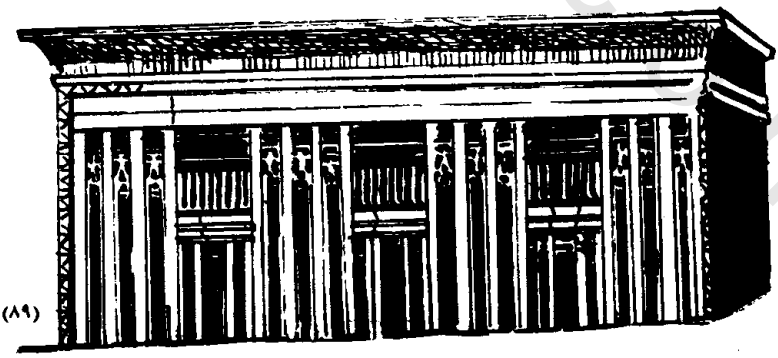

(٨٩)

هذا التضاؤل أو الانكماش فى حجم قبر الفرعون تزامن تماماً مع الانتقاص أو التواضع فى تقدير منزلة الفرعون فى نفس الوقت، كما تزامن أيضاً مع تصاعد التقدير المستمر لمنزلة الإله رع الذى كان يعبد فى منطقة هليوبوليس (٢٨).

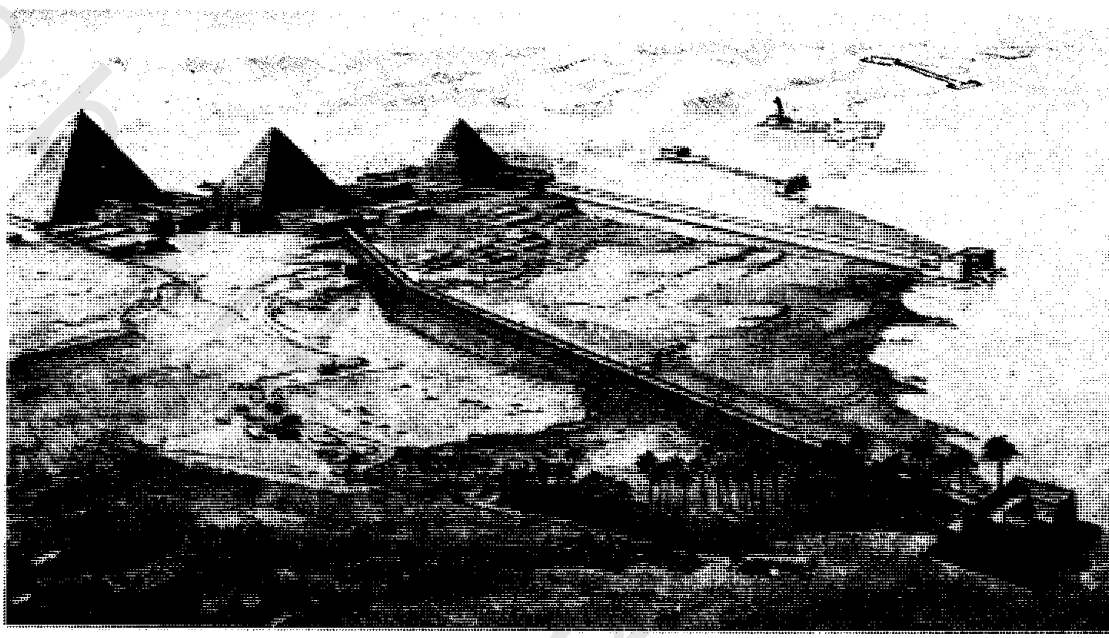

(٩٠)

الصورة (٩٠)

رسم متخيّل لما كانت عليه منطقة أهرام أبوصير. وهى بالترتيب من اليسار إلى اليمين: هرم «نِفِرْ إِرْ كَارَعْ» وهرم «نِي وِسِرْ رَعْ» وهرم «سَاحُو رَعْ». ونرى فى الرسم الطرق الصاعدة المسقوفة التى كانت تربط ما بين معابد الوادى القائمة على شاطىء النيل والمعابد الجنائزية القائمة قرب الأهرام.

• الرسم مأخوذ عن: بورشارد.

---

(٢٨) هليوبوليس هو الاسم اليونانى أما اسمها المصرى القديم فهو «أون» أو «يون» [عين شمس حالياً]. وتقع فى الجنوب الشرقى من رأس الدلتا. وكانت عاصمة المقاطعة ١٣ من مقاطعات الوجه البحرى. وكانت مركزاً علمياً وثقافياً ودينياً بالغ الأهمية منذ أقدم العصور. وعثر بها على عديد من الآثار التى يرجع تاريخها إلى عصور غاية فى الطول، مثل مسلة سنوسرت الأول وبقايا العديد من معابد عصر الرعامسة. وكان فيها المركز الرئيسى لعبادة الشمس تحت اسم الآلهة: رع، وآتوم، وخبرى، ورع حور آختى بالإضافة إلى العديد من عبادات الآلهة الأخرى. وقد لعب الفلك دوراً هاماً فى العبادة بتلك المدينة، وكان كبير كهنتها يحمل لقب «الرائى الأعظم» دلالة على متابعة النجوم والأفلاك فى السماء [المترجم].

لقد ساد الاعتقاد بأن الفرعون ما هو إلا إبن للإله رع إله الشمس. وقد بدأ ظهور هذه النظرية الجديدة منذ عهد الملك خفرع إلى أن أصبحت ظاهرة واضحة المعالم تماماً فى منتصف عصر الأسرة الخامسة، حين ظهرت قصة شعبية ربما ترجع أصولها إلى ذلك العصر تحكى أن الملوك الثلاثة الأوائل من ملوك هذه الأسرة هم أبناء للإله رع، أنجبهم من زوجة أحد كهنة هليوبوليس.

• معابد الشمس:

وقد ابتكر هؤلاء الملوك شيئاً مستحدثاً فى العمارة الجنائزية، فقد أنشأ كل منهم معبداً للشمس، ربما يكون تصميمه مأخوذاً عن نموذج للمعابد التى كانت تقام فى هليوبوليس لعبادة إله الشمس. وهذه المعابد مختلفة تماماً من ناحية التصميم المعمارى عن المعابد الأخرى التى انشئت فى عصر الدولة القديمة.

ويعتبر معبد الشمس الذى أقامه الملك «نى وسِرْ رَعْ»(٢٩) فى منطقة أبو غراب(٣٠) خير نموذج وصل إلينا من معابد الشمس التى أقامها ملوك الأسرة الخامسة [الصورتان ٩١، ٩٢].

وقد استغل المهندس الذى وضع تصميم هذا المعبد طبيعة الأرض بطريقة بارعة. فقد صمم بناء المعبد وبناء ملحقاته من المنشآت الأخرى على مستويين يرتفع أحدهما عن المستوى الآخر، وربط هذين المستويين بطريق صاعد.

---

(٢٩) يعتبر الملك «نى وسر رع» من ملوك الأسرة الخامسة المهمين، ويبدو أنه كان محارباً، حيث ترك لنا لوحة تذكارية باسمه فى وادى مغارة بسيناء، يظهر فيها وهو يؤدب الآسيويين، وكتب تحت اسمه نصاً مفاده: «قاهر الآسيويين من كل الأقطار». كما أن جدران معبد هرمه فى أبو صير تتضمن نقوشاً تسجل انتصاراته على كل من الليبيين والسوريين. وقد عرفنا اسمى اثنتين من زوجاته هما «ختى خوى» و«نبت». واسمى اثنتين من بناته هما «خع مر نبتى» و«مرتاتس». ويقول بعض المؤرخين أن الحكيم «بتاح حتب» هو ابن لهذا الملك، وهو رأى خاطىء لا سند له [المترجم].

(٣٠) تقع «أبو غراب» على بعد نحو ١,٥ كيلو متر إلى الشمال من بلدة «أبو صير» بمحافظة الجيزة. وبها معبد الشمس الذى بناه الملك «نى وسِرْ رَعْ» وقام عالما المصريات لودفيج بورخارت وهاينريش شيفر خلال الأعوام ١٨٩٨ ــ ١٩٠١م بعمل حفائر أثرية فى هذا المعبد لتحديد كل ما بقى من عناصره ومكوناته ومنشآته [المترجم].

وحرم المعبد الذى يشغل المستوى السفلى محاط بسور يبلغ طوله ٣٣٠ قدماً [نحو ١٠٠,٥٨ متر] ويبلغ عرضه ٢٥٠ قدماً [نحو ٧٦ متراً]. ويضم هذا الحرم السفلى مجموعة من المخازن وغرف الإدارة تصل بينها مجموعة من الممرات نحتت على جدرانها نقوش ومناظر بديعة. وفى الساحة العليا من المعبد كانت تقام الطقوس والمراسم الخاصة بعبادة الشمس أمام مسلة غليظة ضخمة أقيمت فوق قاعدة مرتفعة. وعلى مسافة قريبة جنوب السور المحيط بالمستوى العلوى للمعبد، استخدمت قوالب الطين فى بناء أحد مراكب الشمس التى كان من المعتقد أن الإله رع يستقلها فى رحلته اليومية عبر السماء [الصورة ٩٢].

والجدير بالملاحظة أن معابد الشمس والمبانى والمنشآت المعمارية التى بناها ملوك الأسرة الخامسة قد استخدم فيها حجر الجرانيت الوردى بكثرة، خصوصاً فى بناء الأعمدة الضخمة التى كانت تأخذ شكل النخيل أو شكل حزم سيقان البردى، مما أضفى الكثير من ملامح الرقة والحيوية على عمارة هذه المنشآت [الصورة ٩٣]. وقد يرجع ذلك إلى التأثر بأسلوب مجموعة زوسر الهرمية بسقارة، بالنظر إلى أن هرمين من أهرام تلك الأسرة قد بنيا بالقرب من تلك المجموعة.

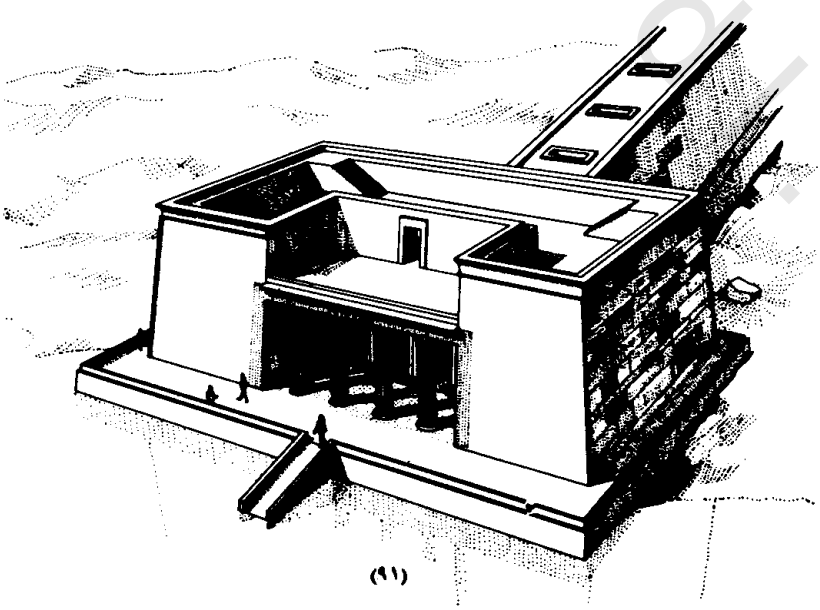

(٩١)

الصورة (٩١)
رسم منخيّل لما كان عليه معبد الوادى الخاص بهرم « ني وسر رَعْ » [٢٤٢٠ ق م] ومن خلفه يبدأ الطريق الصاعد الذى يربط معبد الوادى بالمعبد الجنائزى الملاصق للهرم.
● الرسم مأخوذ عن : بورشارد.

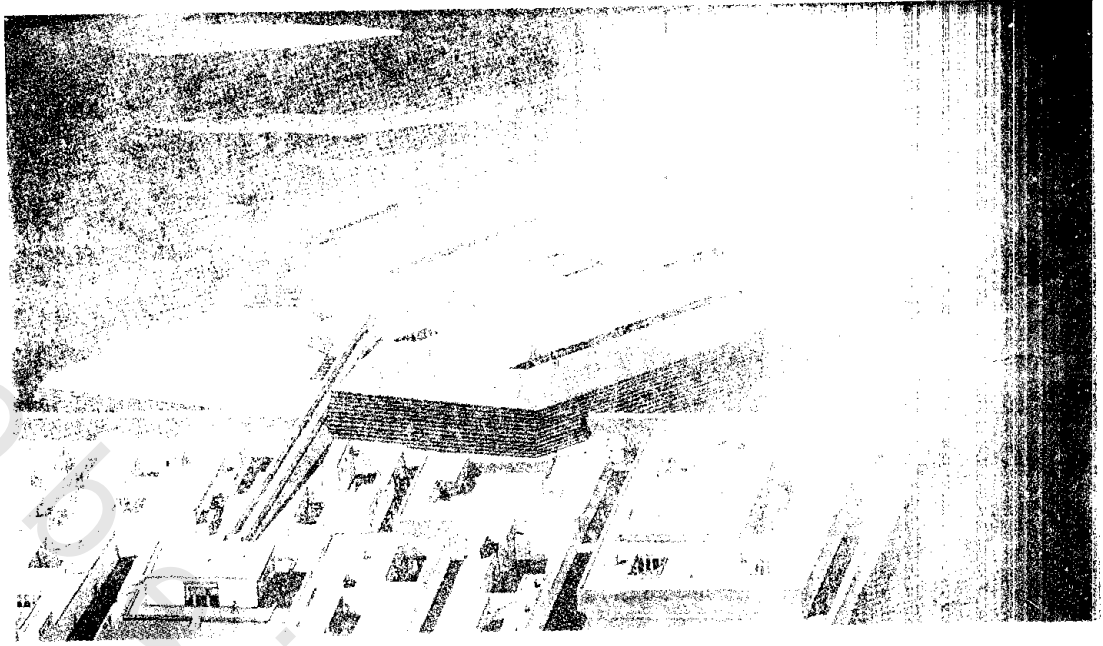

(٩٢)

الصورة (٩٢)

رسم متخيّل لما كان عليه أحد معابد الشمس التى أقامتها الأسرة الخامسة بمنطقة هليوبوليس. والمعبد الذى يبدو فى هذا الرسم بناه الملك «نى وسر رع» فى منطقة أبو غراب. وقد استغل المهندس الذى أشرف على بناء هذا المعبد طبيعة الأرض التى أقيم عليها، فوضع تصميم المعبد وملحقاته على مستويين يرتفع أحدهما عن الآخر، ويصل بينهما طريق صاعد. وقد بنى حرم المعبد فى المستوى السفلى من الأرض، وهو محاط بسور طوله ٣٣٠ قدماً [نحو ١٠٠,٥٨ متر] وعرضه ٢٥٠ قدماً [نحو ٧٦ متراً] ويضم هذا الحرم غرف الإدارة والمخازن وبينها ممرات نحتت على جدرانها الكثير من النقوش والمناظر. أما الطقوس والمراسم الخاصة بعبادة الشمس فكانت تجرى فى الساحة العليا للمعبد حيث أقيمت مسلة غليظة ضخمة فوق قاعدة مرتفعة. وبجوار المعبد وخارج أسواره، نلاحظ وجود أحد مراكب الشمس، وقد بنى من قوالب الطين، وهو يرمز إلى المركب الذى كان يستقله إله الشمس رع فى رحلته اليومية عبر السماء.

• الرسم مأخوذ عن: بورشارد.

الصورة (٩٣)

رسم متخيّل لما كان عليه جزء من المعبد الجنائزى الخاص بهرم الملك «ساحُورَعْ» فى منطقة أبوصير [الأسرة الخامسة عام ٢٤٨٠ ق م]. وترى فيه الأعمدة التى تأخذ شكل النخيل.

• الرسم مأخوذ عن: بورشارد.

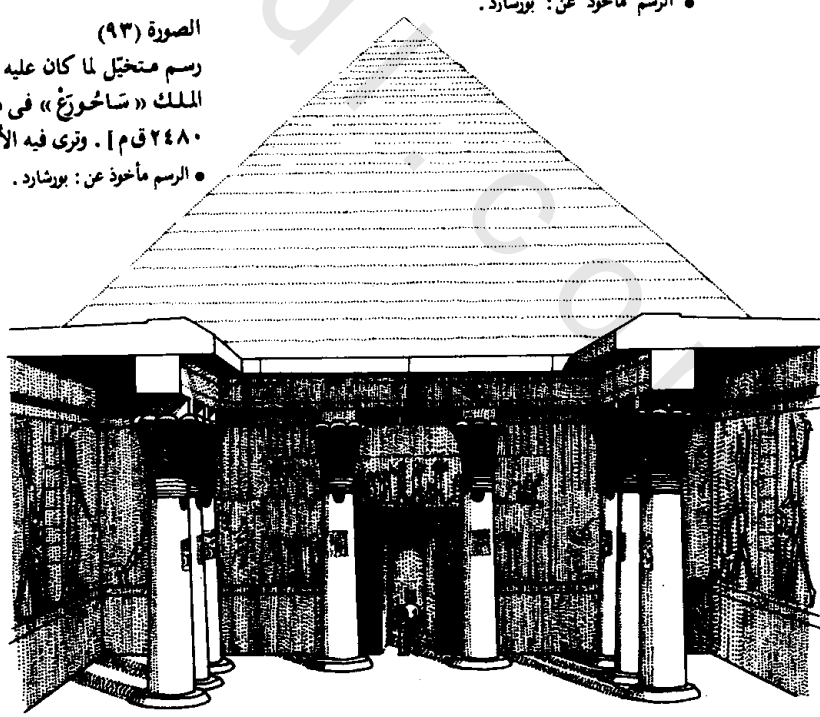

(٩٣)

● **هرم إسيسى:**

وأحد هذين الهرمين بناه الملك «دِجِدْ كَارَعْ إسيسى» (٣١) فى منطقة غرب سقارة. وقد تم العثور على عدة مئات من الكسرات الحجرية المنقوشة والمنحوتة أثناء إجراء الحفائر بمنطقة هذا الهرم. وقد اكتشف معبده الجنائزى عام ١٩٤٦ وتأكد بهذا الكشف انتساب هذا الهرم ومجموعته للملك «دجد كارع إسيسى» حيث لم يكن معروفاً قبل هذا الكشف اسم صاحب هذه المجموعة الهرمية.

● **هرم ونيس ومتون الأهرام:**

أما الهرم الثانى فقد بناه الملك «ونيس» (٣٢) على بعد مسافة قصيرة من الزاوية الجنوبية الغربية للسور المحيط بمجموعة زوسر الهرمية بسقارة. ومن المؤسف أن هذا الهرم مخرب تخريباً شديداً ولا يزيد ارتفاعه عن ٦٢ قدماً [حوالى ١٨,٨٩ متراً] ويطغى عليه تماماً وجود الهرم المدرج الهائل بالقرب منه.

وكان العالم ماسبيرو هو أول من دخل إلى هذا الهرم فى العصور الحديثة. وقد أذهل هذا الكشف الحديث كل المهتمين بالآثار المصرية القديمة. فقد كان من

---

(٣١) استمر حكم الملك «دِجِدْ كَارَعْ إسِيسِى» حوالى ٢٨ عاماً. وكان عصره حافلاً ومتميزاً بالحملات التى كان يرسلها إلى بلاد النوبة وبلاد بونت. والبعثات التى كان يرسلها إلى وادى الحمامات وإلى سيناء تحت قيادة ضابط اسمه «نى عَنْخْ خِنْتِى خِتْ» وهو أول ضابط قائد حملة يذكر اسمه فى ذلك العصر. وقد عاش فى عصره الحكيم المصرى العظيم «بِتَّاحْ حُتِبْ» صاحب التعاليم المشهورة، بل وهو الذى أشرف على تربية الملك وتعليمه [المترجم].

(٣٢) يعتبر الملك «ونيس» من الناحية التاريخية آخر ملوك الأسرة الخامسة. واستمر حكمه نحو ٣٠ عاماً. وقد دخل ماسبيرو هرمه بسقارة سنة ١٨٨١م، حيث عثر بداخله على متون الأهرام. كما قام بتنظيف وتحديد مسار الطريق الصاعد الذى كان يربط بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى. وقد صورت به مناظر رائعة جنائزية ودنيوية، لعل أهمها منظر للزراف الذى لم يعثر على أى منظر له فى نقوش الدولة القديمة. وكذا منظر السفن النيلية الضخمة وهى محملة بأعمدة الجرانيت التى كتب عليها بالهيروجليفية «أعمدة الجرانيت التى أحضرت من أسوان» الأمر الذى يفهم منه أن هذه الأعمدة قد صنعت وجهزت فى أسوان، ونقلت بالسفن لتكون جاهزة للتركيب فى أماكنها فور وصولها. كما وجدت أيضاً مناظر لسفن بحرية ضخمة عليها أسرى آسيويين من مناطق سوريا، الأمر الذى يدل أيضاً على وجود شكل من أشكال السيطرة المصرية على هذه المناطق فى عصر الملك ونيس. وقد آثرنا أن نكتب إسم «ونيس» طبقاً لنطق العلامات الهيروجليفية التى تدل على إسمه. وقد اشتهر هذا الملك أيضاً باسم «أوناس» وهو الإسم الشائع [المترجم].

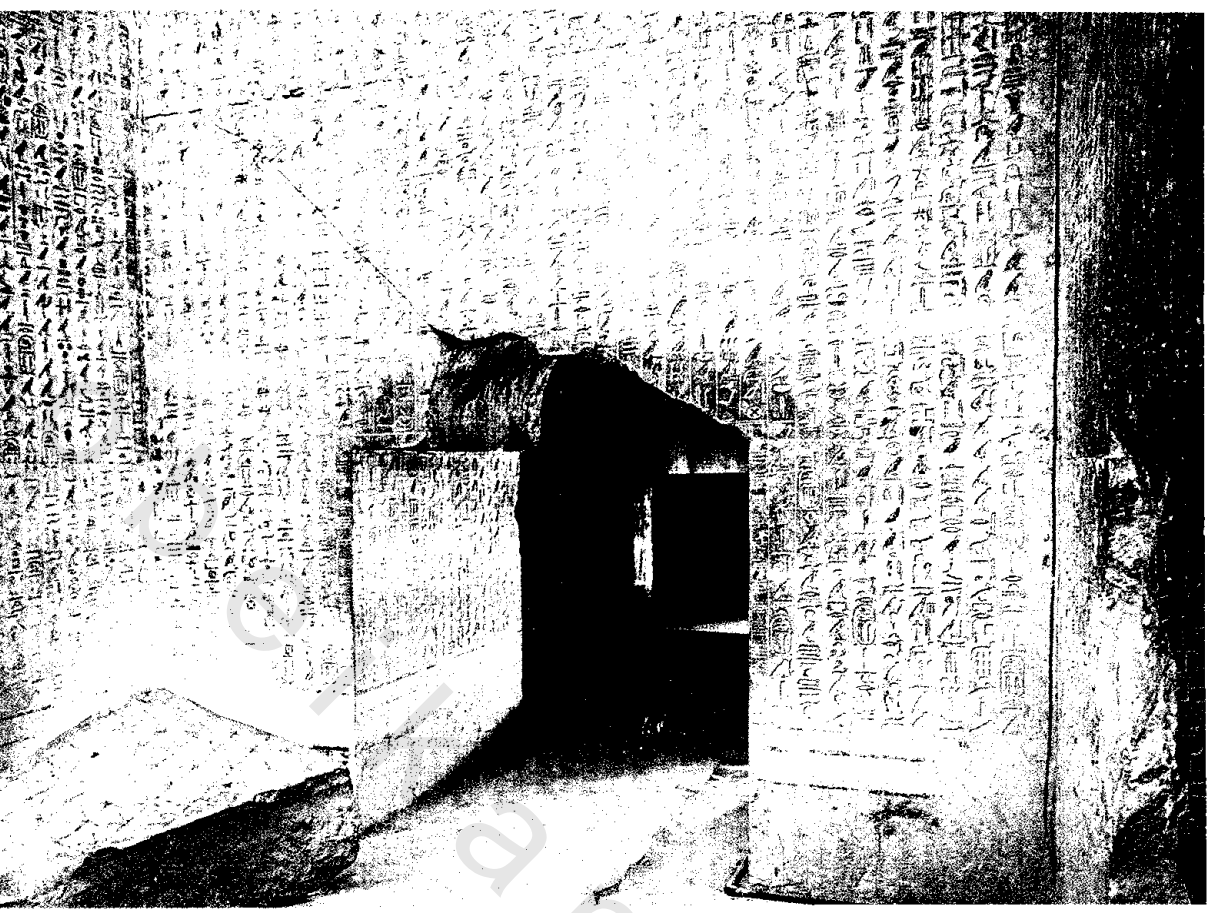

(٩٤)

الصورة (٩٤)

الركن الشمالى الشرقى لغرفة الدفن بداخل هرم «ونيس» أو «أونَاس» بسقارة. ونلاحظ أن جدران الغرفة ومدخلها مغطاة كلها بكتابات هيروجليفية مكتوبة على أعمدة رأسية، وملونة باللون الأرزق. وهذه الكتابات هى ماتسمى «نصوص أو متون الأهرام». وهى النصوص التى وجدت على جدران غرف الدفن بعدد كبير من الأهرام التى بناها ملوك الأسرة السادسة. أما النصوص التى تظهر فى هذه الصورة فيرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الخامسة. ولذلك فهى تعتبر من النماذج المبكرة لهذه النصوص..

• تصوير: بيتر كلايتون.

المعتقد حتى تلك اللحظة أن جميع الأهرام خالية تماماً من النقوش. وقد فوجىء ماسبيرو بأن غرفة الدفن بهرم ونيس وجدران دهليزه الداخلى مغطاة بكتابات هيروجليفية، وهى ما سميت فيما بعد باسم «متون الأهرام» [الصورة ٩٤].

وبالرغم من العثور بعد ذلك على الكثير من متون الأهرام فى عدد من الأهرام التى بناها ملوك الأسرة السادسة، إلا أن المتون التى وجدت بداخل هرم ونيس ظلت أقدم النماذج التى عثر عليها حتى الآن.

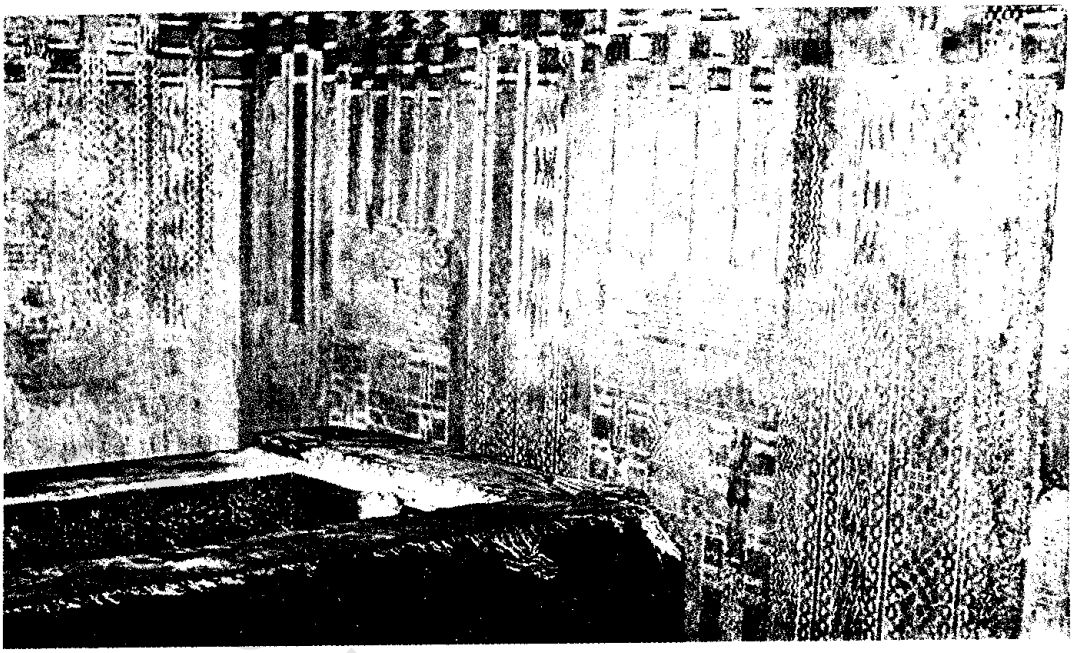

(٩٥)

الصورة (٩٥)

الركن الشمالى الغربى لغرفة الدفن بداخل هرم «ونيس» أو «أونَاس» [الأسرة الخامسة عام ٢٣٥٠ ق م]. ويظهر فى الصورة جزء من التابوت الضخم المستطيل الشكل والمصنوع من الحجر الأسود والموضوع بجوار الحائط. ونلاحظ أن جدران حجرة الدفن فى هذا الركن مزينة بزخارف محفورة وملونة وتمثل الشكل التقليدى للباب الوهمى. وهى مبنية من الألبستر بعكس بقية الجدران الأخرى بالحجرة فهى مبنية من الحجر الجيرى.

• تصوير: بيتر كلاينون.

وقد بنيت الغرف الداخلية بهرم ونيس بالحجر الجيرى المستجلب من منطقة طرة بشرق النيل، فيما عدا الجانب الغربى من حجرة الدفن فقد بنى بالمرمر. وقد حفر على هذا الجانب تصميم لباب وهمى ملون. أما بقية جدران الحجرة فقد نقشت جميعها بحفر كتابات هيروجليفية لونت باللون الأزرق الذى أعطاها طابعاً بارزاً بالنسبة للأرضية البيضاء التى كتبت عليها [الصورتان ٩٥، ٩٦].

ومتون الأهرام عبارة عن مجموعة من الأدعية والتراتيل والتسابيح والتعاويذ السحرية. وبالرغم من أنها ترجمت إلى لغات حية مختلفة، إلا أن بعض معانيها مازالت تتسم بطابع الغموض. أما الغرض المستهدف من كتابة متون الأهرام فهو ضمان تمجيد وسعادة الملك فى حياته فى الدار الآخرة. وكان من المعتقد أن القوى السحرية للكلام المكتوب تضمن تحقيق هذا الهدف.

ونظراً لأن الكثير من الكلمات أو العلامات الهيروجليفية تتضمن رسوماً لأشكال بشرية أو حيوانية، فقد ظهر الاعتقاد فى أن من الخطر وجود مثل هذه

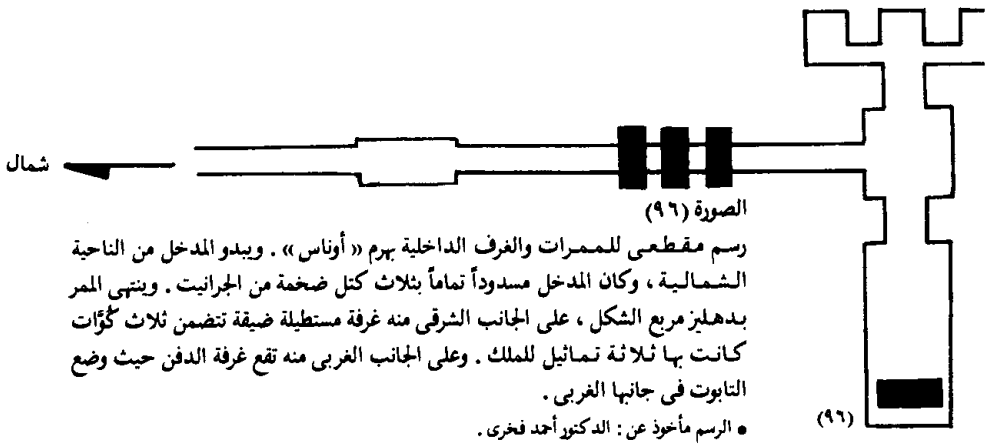

الصورة (٩٦)

رسم مقطعى للممرات والغرف الداخلية بهرم « أوناس » . ويبدو المدخل من الناحية الشمالية ، وكان المدخل مسدوداً تماماً بثلاث كتل ضخمة من الجرانيت . وينتهى الممر بدهليز مربع الشكل ، على الجانب الشرقى منه غرفة مستطيلة ضيقة تتضمن ثلاث كُوَّات كانت بها ثلاثة تماثيل للملك . وعلى الجانب الغربى منه تقع غرفة الدفن حيث وضع التابوت فى جانبها الغربى .

• الرسم مأخوذ عن : الدكتور أحمد فخرى .

(٩٦)

الأشكال البشرية أو الحيوانية بجوار الملك المتوفى وبحجرة الدفن بداخل مقبرته . لذلك فقد عمد الرسام أو الكاتب إلى تشويه الأشكال البشرية برسمها مبتورة الأذرع أو مبتورة السيقان ، أو رسم العلامات التى تتضمن أشكالاً حيوانية بطريقة تظهر الحيوان فى حالة من البلادة أو فقدان الوعى .

وقد تم حصر أكثر من سبعمائة (٣٣) تعويذة من التعاويذ السحرية التى تضمنتها متون الأهرام ، أما هرم ونيس فلم يتضمن سوى مائتين وثمان وعشرين تعويذة من تلك التعاويذ .

هذا ومن الملاحظ بصفة عامة أن أسلوب الأسرة الرابعة فى استخدام كتل الجرانيت المصقولة وكتل البازلت والمرمر فى أعمال البناء استمر تطبيقه أيضاً فى المبانى والمنشآت التى تمت فى عصر الأسرة الخامسة .

• أهرام الأسرة السادسة :

تدل الشواهد الأثرية التى عثر عليها أو أكتشفت حتى الآن ، على أن عصر الأسرة السادسة لم يتضمن أى تغيير متميز فى أسلوب العمارة الذى ساد فى عصر الأسرة التى سبقتها .

وكان آخر الآثار الضخمة التى يرجع تاريخها إلى السنوات الأخيرة فى عصر الدولة القديمة هو الهرم أو المجموعة الهرمية التى بنيت فى عهد الملك « ببى

(٣٣) عددها بالضبط ٧١٤ متنا [المترجم] .

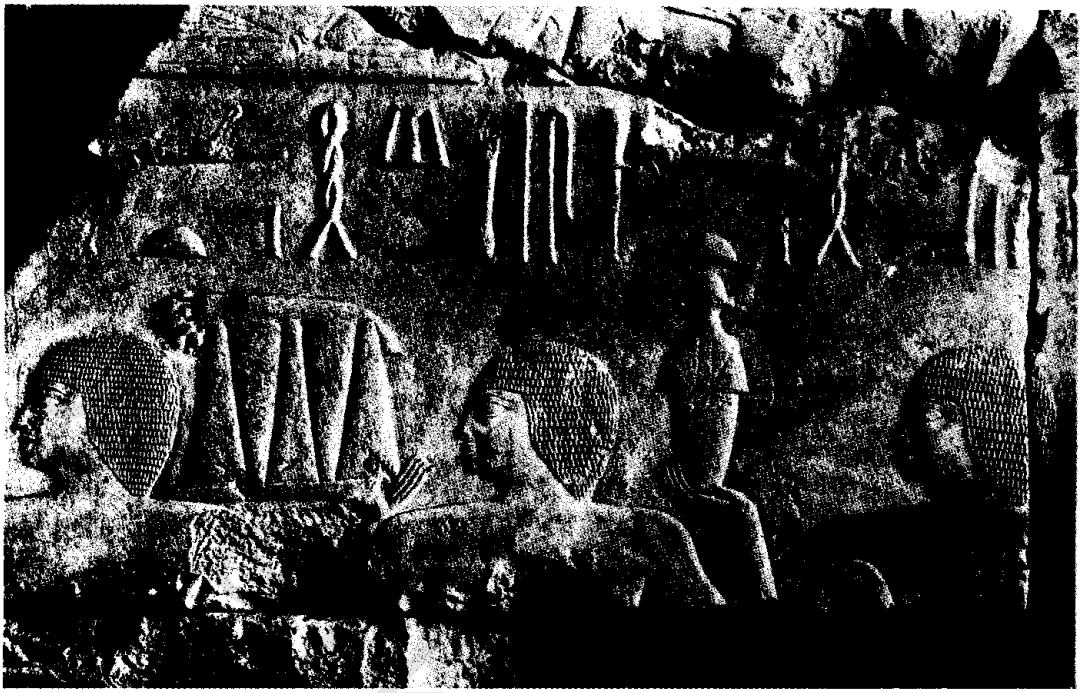

(٩٧)

الصورة (٩٧)
نقش على الحجر الجيرى من أحد جدران المعبد الجنائزى للملك بيبى الثانى [من الأسرة السادسة] يظهر فيه مندوبو الأقاليم وهم يقدمون الهدايا من منتجات أقاليمهم. ونلاحظ أن نحت الوجوه والعلامات الهيروجليفية قد بلغ قمة عالية فى عصر الدولة القديمة.
محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة.

الثانى» (٣٤). وتؤكد لنا هذه المجموعة الهرمية استمرار حرص الفنان والمعمارى المصرى على استلهام أسلوب الأعمال الفنية والمعمارية التى سبقه إليها أجداده، بالرغم من طابع الشكلية والتقليد الذى ظهر واضحاً فى مبانى ومنشآت تلك الأسرة [الصورة ٩٧].

وقد لوحظ أن بعض أعمال النقش التى عثر عليها ضمن آثار المجموعة الهرمية للملك بيبى الثانى تعتبر تقليداً لأعمال قديمة يرجع تاريخها إلى عصور سابقة. وعلى سبيل المثال فقد عثر على نقش يبين منظراً للملك بيبى الثانى وهو يضرب

(٣٤) تولى الملك «نِفِرْ كَارَعْ بيبى الثانى» عرش مصر وعمره لايتجاوز ست سنوات، وظل يحكم لمدة ٩٤سنة متواصلة، وتميزت الفترة الأولى من حكمه بكثرة البعثات الكشفية والحملات العسكرية التى ارسلتها مصر إلى بلاد النوبة وإلى أواسط افريقيا وإلى مناطق سواحل البحر الأحمر. وفى أواخر عهده بدأ الضعف يتسلل إلى نظام الحكم، وكثرت غارات البدو على البلاد، وازدادت المنافسة والفتن والحروب بين حكام المقاطعات، وعمت الفوضى وشاع الانحلال الذى أدى فى النهاية إلى سقوط الدولة القديمة وانتهاء عصرها [المترجم].

بدبوسه رأس أحد الأسرى من الرؤساء الليبيين. وتبين أن هذا النقش عبارة عن صورة طبق الأصل لنقش على أحد جدران المعبد الملحق بهرم الملك «ساحُورَعْ» [من ملوك الأسرة الخامسة]. وقد نقل الفنان الذى نقش منظر الملك بيبى الثانى جميع عناصر لوحة الملك «ساحورع» خطأ بخط، كما نقل أسماء الأسير الليبى هو وزوجته وأولاده المكتوبة على لوحة الملك ساحورع (٣٥).

ومن المحتمل أن مثل هذه الطريقة فى النقل والتقليد تؤكد لنا احتمال أن تكون لوحة الملك ساحورع نفسها تقليداً منقولاً عن أصل أكثر قدماً، قد يرجع تاريخه إلى واقعة رمزية حدثت فى العصر العتيق أو فى بداية عصر الأسرات.

أما الشىء الغريب الذى يميز هرم بيبى الثانى عن غيره من أهرام أسلافه، فهو هذا السور الذى يحيط بقاعدته ملاصقاً لها، والذى كان فى الأصل يرتفع إلى المدماك الثانى أو ربما المدماك الثالث لهذا الهرم. وتدل الشواهد على أن سبباً طارئاً قد دعا بنائى الهرم إلى إقامة هذا السور، وقد استعملوا فى بنائه أحجاراً مفكوكة من مبانى ومنشآت معمارية أخرى أقدم عهداً كانت موجودة فى نفس المنطقة أو بقربها. ويحيط هذا السور بجميع جوانب الهرم فيما عدا جزءاً من الجانب الشرقى حيث كان يوجد المعبد الجنائزى الخاص بالهرم ملاصقاً لواجهته الشرقية.

وحتى الآن لم يعرف السبب الحقيقى لبناء هذا السور بمثل هذه الطريقة على نحو قاطع أو مقنع. وقد قيلت فى تبرير ذلك آراء عدة، لعل أقربها إلى الصواب هو أن السور قد بنى فى الأصل لزيادة قدرة الهرم على التماسك والثبات، ربما بعد حدوث زلزال هز كتلة الهرم أثناء بنائه، أو ربما بعد أن اكتمل.

---

(٣٥) يعتبر الملك «سَاحُو رَعْ» من الناحية التاريخية ثانى ملوك الأسرة الخامسة. ومن المحتمل أن يكون أخاً للملك «وِسِرْ كَافْ» أول ملوك هذه الأسرة، وتولى العرش بعد وفاته. ويعتبر ساحو رع من الملوك المحاربين، فقد عثر فى سيناء على لوحة تمثله وهو يلبس تاج الوجه القبلى ويقوم بتأديب الآسيويين. كما عثر له على نقش فى بلدة اسمها توماس تقع جنوب الجندل الأول بالنوبة، الأمر الذى يدل على أنه قد وسع الحدود الجنوبية للبلاد. وعثر كذلك فى معبد الشمس الذى أقامه فى «أبوصير» على نقوش تدل على أنه أرسل اسطولاً إلى لبنان لاعتجلاب أخشاب الأرز، وأرسل اسطولاً آخر إلى بلاد بونت عاد حاملاً ٨٠ ألف مكيال من العطور و٦ آلاف مكيال من الذهب و٢٦٠٠ عصا من الأبنوس. كما وجدت نقوش أخرى تصور إحدى معاركه ضد الآسيويين وكيفية سير المعركة الحربية التى انتهت بتدمير قلعة الآسيويين واستسلام جيشهم وعودة الجيش المصرى منتصراً [المترجم].